فقه المناظرة الدعوية

مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما للحرورية أنموذجًا

إعداد

د/ عبد الرحمن ماهر عطية جمعة

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

في كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

فقه المناظرة الدعوية .. مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما للحرورية أنموذجًا

عبد الرحمن ماهر عطية جمعة
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنصورة، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية
البريد الإلكتروني: Abugomaa٢٦@gmail.com

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق عدة أهداف، كان من أبرزها: الوقوف على نص المناظرة الدعوية التى تمت بين ابن عباس رضي الله عنهما والحرورية للعمل على استخراج الفوائد المتعلقة بفقه المناظرة، وسلطت الضوء على فقه التهيئة للمناظرة الدعوية، وكان منها التهيئة القلبية مثل الحرص على هداية المخالف، وحسن التوكل على الله تعالى، ومنها التهيئة الظاهرية مثل حسن المظهر، والذهاب لموطن الخصم، وقمت بذكر فقه إنجاح المناظرة الدعوية، وقد تمثل هذا النجاح في عدة نقاط رئيسة، أبرزها: الاستفسار عن أوجه الخلاف، حصر نقاط الخلاف، تقرير المدعوّ بظهور الصواب، ثم اتجهت نحو الحديث عن فقه الإقناع، وتبين من خلال المناظرة أن فقه الإقناع يقوم على ركيزتين أساسيتين، هما: حسن الاستشهاد، وقوة الاستنباط وحسن العرض، وكان من أبرز النتائج أن فقه التعامل مع الخصم يوصل إلى إنجاح المناظرة من أقرب طريق، وأن الاطلاع الموسع على المؤلفات المتخصصة في المناظرة يأخذ بيد الداعية إلى إقناع الخصم، وكان من أبرز التوصيات: تتبع مناظرات علماء القرون الثلاثة المفضلة ودراستها دراسة تحليلية لإضافة جديد إلى المكتبة الدعوية المتخصصة، واستخدمت أثناء دراستي لهذا البحث المنهج التحليلي الذي يقوم على دراسة النص واستخراج ما يدعم فقه المناظرة.

الكلمات المفتاحية: فقه، المناظرة، الدعوة، الحرورية، أنموذجًا.

The jurisprudence of advocacy debate. The debate of Ibn Abbas - may God be pleased with them - for Haruriya as a model

Abdul rahman Maher Attia Juma
Department of Da'wah and Islamic Culture. Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah in Mansoura, Al-Azhar University, Egypt
Email: Abugomaa٢٦@gmail.com

Abstract:

This research aims to achieve several objectives, the most prominent of which were: standing on the text of the advocacy debate that took place between Ibn Abbas, may God be pleased with them, and Al-Haruria to work on extracting the benefits related to the jurisprudence of debate, and highlighted the jurisprudence of preparation for the advocacy debate, including cardiac preparation such as keenness to guide the violator, and good trust in God Almighty, including virtual preparation such as good appearance, and going to the opponent's homeland.

I mentioned the jurisprudence of the success of the advocacy debate, and this success was represented in several main points, most notably: inquiring about the differences, listing the points of disagreement, the invitee's report of the appearance of the right, and then I turned towards talking about the jurisprudence of persuasion, and it turned out through the debate that the jurisprudence of persuasion is based on two main pillars, They are: good martyrdom, the power of deduction and good presentation, and one of the most prominent results was that the jurisprudence of dealing with

the opponent reaches the success of the debate from the nearest way, and that the expanded access to the specialized literature in the debate takes the hand of the advocate to convince the opponent, and one of the most prominent recommendations was: Tracking the debates of the scholars of the three centuries favorite and studying them analytically to add new to the specialized advocacy library, and I used during my study of this research the analytical method, which is based on the study of the text and the extraction of what supports the jurisprudence of debate.

Keywords: jurisprudence, debate, advocacy, freedom, model.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا ﷺ الصادق الوعد الأمين، وعلى أصحابه وآل بيته الطيبين الطاهرين وعلى مَنْ استن بسنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد،،،

فما لا شك فيه أن الدعوة الإسلامية كما اهتمت بالرد على الأفكار المخالفة والآراء الشاذة حال المناظرات فقد اهتمت اهتماما عظيما بكيفية الرد وطريقة العرض وسبل نجاح المناظرات والعمل على إقناع الخصم بشتى الطرق المتاحة لدى الداعية كي يتوفر للمخالف المؤهلات التي تعيده إلى رشده وتبعده عن غيه ، وهذا كله يحتاج إلى داعية واسع الأفق ، عميق النظر ، سريع البديهة ، شديد الفراسة ، وبهذا تكون الدعوة إلى الله على بصيرة وهدى، كما كانت مناظرة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما للحرورية، فقد اهتم بكيفية العرض وحسن إدارة المناظرة كاهتمامه بالجانب العلمي ودحض الشبهات ، وهذا من الفقه العظيم الذي لفت نظر الباحث إلى دراسته ، ومن هنا جاءت أهمية البحث

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

من الأمور التي دفعت الباحث إلى اختيار هذا الموضوع عدة أسباب، منها:

(١) إظهار المكانة العلمية لدى الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، تلك الشخصية المتكاملة في تحصيل العلوم واستيعاب مختلف الفنون.

(٢) إظهار القوة العقلية والسرعة البديهية لدى ابن عباس رضي الله عنهما حال مناظرته للحرورية مما يستدعي اقتداء الدعاة به في هذا الفن الدعوي.

(٣) التعرف على كيفية إدارة المناظرة من قبل ابن عباس رضي الله عنهما تجاه الحرورية كي ينسج الدعاة على منواله ليحققوا النتائج الحسنة والأهداف المرجوة.

(٤) العمل على تحسين الظن بالمخالف وعدم اليأس من رجوعه .

(٥) الإسهام في إخراج بحث يثري المكتبة الدعوية التخصصية في هذا الفن الدعوي كي يساعد الدعاة لاستخدام أنجع السبل وأنفع الطرق حال مناظرة الآخرين.

منهج البحث:

في ضوء هذه المناظرة التاريخية الدعوية – والتي سترد بعد قليل –.

يستخدم الباحث المنهج التحليلي الذي يعتمد في عنصره الأساس على النظر في النص الموجود وتأمله تأملًا جيدًا لاستخراج جديد منه بما يناسب فقه إدارة المناظرة الذي تعامل به ابن عباس رضي الله عنهما حال مناقشته للحرورية، علمًا بأن الباحث قد يستخدم أكثر من منهج ، لأن الفصل بين المناهج حال الدراسة صعب وعسير.

تساؤلات الدراسة:

من الجدير بالذكر أن هذا الموضوع يستوجب الإجابة على عدة أسئلة على النحو التالي:

(١) ما المقصود بفقه المناظرة الدعوية عمومًا؟

(٢) مَنْ ابن عباس رضي الله عنهما الذي قام بإجراء المناظرة؟

(٣) مَنْ الحرورية الذين ناظرهم ابن عباس رضي الله عنهما؟

(٤) ما التهيئة القلبية والظاهرية التي راعاها ابن عباس قبل المناظرة ؟

(٥) ما سبل إنجاح المناظرة وطرق الإقناع التي استخدمها ابن عباس رضي الله عنهما ؟

(٦) ما أوجه الإفادة من فقه إدارة ابن عباس رضي الله عنهما للمناظرة الدعوية في العصر الحاضر؟

حدود الدراسة:

حصر الباحث الدراسة في مناظرة ابن عباس ﷺ للحرورية من ناحية الفقه لطبيعة المناظرات الدعوية الهادفة القائمة على أسس علمية وركائز فنية ، دون تخطي ذلك إلى أمر أخر كفكر الحرورية مثلًا أو التطبيقات الدعوية، حتى يسير البحث على النسق الموضوع له دون زيادة أو نقصان.

الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع على السجلات الخاصة برسائل الماجستير والدكتوراه وشبكة الانترنت العالمية لم أجد بحثًا يحمل هذا العنوان، غير أن الموجود من الأبحاث في هذا الشأن ركز على فقه الدعوة لا فقه المناظرة، حيث الحديث عن التطبيقات الدعوية التي قام بها الصحابي الجليل تجاه الحرورية مثل:

١ – بحث (فقه الدعوة من خلال مناظرة سيدنا ابن عباس للخوراج، العدد التاسع والثلاثون، للباحث/ علي حسن العشري، حولية المنوفية، أصول الدين) فركَّز على التطبيقات الدعوية حال مناظرة الخوارج ومناقشة أفكارهم، وعرض أهم صفاتهم، ولم يتعرض لفقه المناظرة من حيث سيرها وحسن إدارتها، وهذا ما يدور فيه فلك بحثي.

٢ – مناقشة ابن عباس للخوارج دروس وعبر، الدكتور/ معن عبد القادر، مجلة البيان، ١٤٠٨ هـ. وهو كذلك لم يتعرض لنقطة البحث الأساس وهي فقه المناظرة.

٣ – أنواع المسارح بالفوائد المستنبطة من مناظرة ابن عباس للخوارج، الدكتور/ علي حسن عبد الحميد. وقد سلط هذا البحث الضوء على الفوائد الدعوية دون التعرض لفقه المناظرة، وبهذا يظهر الفرق بين بحثي وغيره من الأبحاث العلمية الأخرى.

مشكلة البحث:

يظن البعض أن مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما للحرورية جاءت ارتجالية دون وضع معالم لطرق سيرها، فعمل البحث على الإفصاح عن الخطة المحكمة التي وضعها ابن عباس رضي الله عنهما قبل وأثناء المناظرة لإنجاحها، الأمر الذي يدحض دعوى ارتجالية المناظرة.

خطة الدراسة:

هذا وقد تكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة:

أما المقدمة فقد اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومنهج البحث، وتساؤلات الدراسة، وحدودها، والدراسات السابقة ، ومشكلة البحث.

وأما التمهيد: فقد اشتمل على فصل تمهيدي تكون من مبحثين:

المبحث الأول : التعريف بمفردات عنوان البحث.

المبحث الثاني: ترجمة ابن عباس ونص مناظرته.

*أما الفصل الأول فقد جاء تحت عنوان « فقه التهيئة للمناظرة الدعوية». واحتوى على مبحثين:

- المبحث الأول: التهيئة القلبية . وتكون من مطلبين:

المطلب الأول: الحرص على هداية المخالف.

المطلب الثاني: حسن التوكل على الله تعالى.

- المبحث الثاني: التهيئة الظاهرية . واشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: حسن المظهر.

المطلب الثاني: الذهاب لموطن الخصم.

*أما الفصل الثاني فهو بعنوان «فقه إنجاح المناظرة الدعوية». وتكون من مباحث خمسة:

المبحث الأول: الاستفسار عن أوجه الخلاف.

المبحث الثاني: حصر نقاط الخلاف.

المبحث الثالث: الاكتفاء بمحكم القرآن وصحيح السنة.

المبحث الرابع: تقرير المدعو بظهور الصواب.

المبحث الخامس: الإعراض عن المشوشين.

*وأما الفصل الثالث والأخير فهو بعنوان «فقه الإقناع حال المناظرة». واشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: حسن الاستشهاد.

المبحث الثاني: قوة الاستنباط وحسن العرض.

هذا، وقد استفرغت وسعي في إخراج هذا البحث إخراجًا طيبًا، شكلًا، وموضوعًا، ومضمونًا، وأسال الله تعالى أن يجعله في ميزان الحسنات يوم القيامة، وأرجو من أساتذتي العفو عن تقصيري البشري ، فالكمال لله وحده، والحمد لله رب العالمين.

فصـل تمهيـدي

ويتكون من مبحثين

- **المبحث الأول: التعريف بمفردات عنوان البحث.**
- **المبحث الثاني: ترجمة ابن عباس ونص مناظرته.**

المبحث الأول

التعريف بمفردات عنوان البحث:

قبل الشروع في مضمون البحث ينبغي الوقوف على معاني المصطلحات التي يحملها عنوان البحث كي تتضح الرؤية اللغوية التي بسببها يتم التعرف على حقيقة المصطلحات الدعوية المرادة في البحث المعني، وهذه المفردات تكون على النحو التالي:

* الفقه:

تعددت معاني هذه الكلمة في معاجم اللغة على ما يلي:

– إدراك الشيء والعلم به : قال ابن فارس«فقه : الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح يدل على إدراك الشيء والعلم به »(١).

– الفهم، قال ابن منظور « الفقه : العلم بالشيء والفهم له »(٢).

– بيان الشيء للغير «أفقهته أنا : أي بينت له تعلم الفقه»(٣).

– المباحثة في العلم : قال الجوهري : « فاقهته : إذا باحثته في العلم »(٤).

مما سبق من التعريفات اللغوية الآنف ذكرها تبين أن مدلول الكلمة يتضمن المعاني التالية: الإدراك، الفهم ، البيان للغير ، المباحثة في العلم ، وبإسقاط هذه المعاني على عنوان البحث يتضح أن ابن عباس رضي الله عنهما تعلم كيفية المناظرة ، ووصل علمه

---

(١) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني أبو الحسين ت ٣٩٥ هـ،ج ٤، ص٤٤٢، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور، ج ١٣، ص ٥٢٢، الناشر دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤

(٣) المصدر السابق : ج ١٣، ص ٥٢٢.

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الإمام الجوهري الفارابي – جـ٦، ص ٢٢٤٣، دار العلم للملايين – بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م.

إلى مرحلة الفهم والاستيعاب، ثم بين للمخالف الصواب من الخطأ، فلما احتاج المخالف للتوضيح أكثر عمل ابن عباس على المباحثة في العلم بأمور لفتت انتباه الخصم ونزوله على الرأي.

* الدعوية:

تعددت معاني هذه الكلمة في اللغة على النحو التالي:

قال ابن فارس: «دعو: الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك»(١).

فتارة تأتي كلمة الدعوة بمعنى: «كلمة التوحيد، كما قال الله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ﴾(٢). قال الزجاج: «جاء في التفسير أنها شهادة أن لا إله إلا الله»(٣).

وتارة تأتي بمعنى الداعي «فدعوة: بمعنى داع في الناس»(٤).

فالدعوة يراد بها الإسلام ذاته كما في المعنى الأول، ويراد بها التبليغ كما في المعنى الثاني، وهذا النوع الثاني هو الذي يسير عليه البحث الذي بمعنى التبليغ والنشر، وهو «العلم الذي به تُعرف أسس وتطبيقات كافة العمليات الفنية، المتنوعة، القادرة على تبليغ الإسلام للناس على الوجه المشروع»(٥).

وبإنزال هذا التعريف على موضوع البحث يتضح أن ابن عباس رضي الله عنهما استطاع أن يقدم للحرورية مناظرة بأسلوب يدل على الخبرة الدعوية والحنكة الجدالية الهادفة التي

---

(١) معجم مقاييس اللغة، جـ٢، صـ ٢٧٩.

(٢) جزء آية من سورة الرعد رقم ١٤.

(٣) لسان العرب، للعلامة ابن منظور، جـ٣، صـ ٣٦٧.

(٤) المصدر السابق جـ٣، صـ ٣٦٧.

(٥) أصول الدعوة الإسلامية، أ. د/ أحمد أحمد غلوش، صـ ٣٠، الناشر دار الرسالة، ط ١ - ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩ م.

أثرت في بعضهم، فعدلوا عن الخطأ إلى الحق والصواب.

* المناظرة:

هذه الكلمة تعددت معانيها في معاجم اللغة على ما يلي:

- فتارة تأتي بمعنى التأمل، قال ابن فارس: «نظر: النون والظاء والراء أصل صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد وهو تأمل الشيء ومعاينته»(١).
- وتارة تأتي بمعنى الفحص، يقال: «نظر الشيء: أي الأمل والفحص»(٢).
- وتارة تأتي بمعنى الحكم والفصل: «يقال: نظر بين الناس: أي حكم وفصل دعاويهم»(٣).

وبإسقاط هذه المعاني اللغوية على بحث الدراسة فإن الداعية يتأمل ما جاء في مناظرة ابن عباس ﷺ للحرورية عن طريق البصيرة كي يقف على الدواعي التي جعلت ابن عباس موفقًا في الحكمة وفصل الخطاب حال مناظرتهم، كي يستفيد منها الدعاة في إدارة المناظرات.

* أما عن المناظرة في الاصطلاح، فهي: «النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين شيئين بإظهار الصواب»(٤).

وعُرفت أيضًا بأنها: «علم يتعلق بقواعد نظرية وأخلاقية تضبط المباحثات

---

(١) مقاييس اللغة، جـ٥، صـ ٤٤٤.

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د/ محمد حسن حسن جبل، جـ٤، صـ ٢٢٢٠ الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة، ط١ - ٢٠١٠ م.

(٣) تكملة المعجم العربية، رينهارت بيتر آن دوزي ت ١٣٠٠هـ، جـ١٠، صـ٢٤٥، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط١ - ١٩٧٩م.

(٤) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، الإمام جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ، صـ ٧٦، المحقق: د/ محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١ - ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤م.

والمناظرات لاستبعاد الخطأ والشك من النتائج التي يتوصل إليها المتناظران»[١].

ويتضح من خلال هذين التعريفين: أن المناظرة تحتاج إلى علم، وفقه في العرض ، والعمل على إنجاح المناظرة، واستعمال ما يعمل على اقتناع الخصم كي يتم الوصول إلى نتيجة مثمرة دون خصومة أو مكابرة، وهذا ما تم في مناظرة ابن عباس للحرورية حيث الضبط والإحكام وحسن إدارة المناظرة .

* الحرورية:

إن هذا الاسم أُطلق على مَنْ خرج على الخليفة الراشد الرابع أمير المؤمنين علي بن طالب رضي الله عنه، وسموا بذلك لأنهم نزلوا بمكان يُقال له حروراء، بالقرب من الكوفة بأرض العراق لقتال علي ﷺ[٢]. ولقد صار هذا الاسم علمًا عليهم لدرجة أن الصحابة رضي الله عنهم استخدموه للتعريف بهم، فالمرأة التي استشكلت أمر قضاء الصوم دون قضاء الصلاة وصفتها أم المؤمنين عائشة ﷺ بهذا الوصف، فعن معاذة: «أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ لِعَائِشَةَ أَتَجْزِي إِحْدَانَا صَلَاتَهَا إِذَا طَهُرَتْ؟ فَقَالَتْ: أَحَرُورِيَّةٌ أَنْتِ؟ كُنَّا نَحِيضُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَا يَأْمُرُنَا بِهِ ، أَوْ قَالَتْ: فَلَا نَفْعَلُهُ»[٣]، كذلك استعمل هذا الاسم: عبد الله بن عباس ﷺ حيث قال: «لما خرجت الحرورية... »[٤].

---

(١) المناظرة، الإمام الأكبر أ. د/ أحمد الطيب، شيخ الجامع الأزهر الشريف، صـ ٩٣، الموسوعة الإسلامية العامة، إشراف د/محمود حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(٢) ينظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، ت ٨٤٥هـ، جـ٤، صـ ١٧٩.

(٣) الصحيح الجامع المسند المختصر من سنن رسول الله ﷺ وأيامه، المشهور بصحيح البخاري، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي، ت ٢٥٦ هـ، ك الحيض، باب وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة جـ ١، صـ ٨٤ - ٨٥، حديث رقم ٣٢١.

(٤) السنن الكبرى: الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي ت ٤٥٨ هـ، جـ ٨، صـ ٣٠٩، أثر رقم (١٦٧٤٠) المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣ - ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣ م.

إذًا، فهذا الاسم صار علَمًا على مَنْ خرج على أمير المؤمنين علي، وبه يُعرفون، ولهم أسماء أخرى كثيرة لا مجال لذكرها لعدم الخروج عن المضمون المتبع في البحث العلمي.

وسر خروجهم على أمير المؤمنين أنه لما رجع رضي الله عنه من صفين[١] دخل الكوفة فلم يدخل معه مَنْ خرج عليه، وكانوا من وقت تحكيمه يردون عليه ولا يرضون بفعله، فلما رجعوا باينوه فأتوا حروراء، ومن هنا أرسل إليهم عبد الله بنَ عباس رضي الله عنهم ليناظرهم فيما أخذوه عليه[٢].

*** أنموذجًا:**

هذه الكلمة جاءت في معاجم اللغة بمعنى مثال الشيء[٣].

«وما زال العلماء قديمًا وحديثًا يستعملون لفظة الأنموذج، وقد أطلق الزمخشري وهو من أئمة اللغة هذا الاسم على أحد كتبه فسماه «الأنموذج» ولذا فقد صححته المعاجم»[٤].

---

(١) أي: ما وقع من خلاف بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما من مسألة السرعة في تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه إلى معاوية رضي الله عنه ليقيم عليهم حد القصاص والمحاربة، لكن عليًا رضي الله عنه رأى المصلحة في تأخير ذلك إلى استتباب الأمر في القرى والأمصار، وصفين تقترب من نهر الفرات شرق سوريا، وانتهى الأمر باللجوء إلى التحكيم بين الطرفين. ينظر: زبدة الحلب في تاريخ حلب، المؤلف: عمر بن أحمد بن هبة الله، كمال الدين ابن العديم ت ٦٦٠هـ،صـ ٢١ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(٢) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت ٥٩٧هـ، جـ٥، صـ ١٢٣-١٢٤، المحقق: محمد عبد القادر عطا وآخرون، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، ط١-١٤٢هـ ١٩٩٢م.

(٣) ينظر: تكملة المعاجم العربية مصدر سابق، جـ١، صـ ٢٠٥.

(٤) ينظر: معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، د / أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، جـ١، صـ ٨٦، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، ط١ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨ م.

وقد يأتي الأنموذج بمعنى «القليل من الكثير»[١].

وبإسقاط هذين المعنيين على موضوع البحث يتضح ذكر مثال واحد من بين المناظرات ألا وهو فقه مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما للحرورية، وبما أن المناظرات كثيرة على مدى تاريخ الدعوة والدعاة فقد اكتفى الباحث بهذه المناظرة فقط.

وبعد الانتهاء من المبحث الأول من الفصل التمهيدي يتوجه الباحث إلى ترجمة صاحب المناظرة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذكر نص مناظرته وتوثيقها كما في ضوء المبحث التالي...

(١) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد عبد الرؤف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ت ١٠٣١هـ، صـ٦٥، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت، القاهرة، ط ١- ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

المبحث الثاني

ترجمة ابن عباس ونص مناظرته

في ضوء هذا المبحث يحاول الباحث الوقوف على ترجمة بعض الشيء لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ونص مناظرته للحرورية، وذلك على النحو التالي:

أولاً: ترجمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

يمكن الترجمة لهذا الصحابي الجليل على النحو التالي :

- اسمه: هو أبو العباس: عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، الهاشمي، المكي، ابن عم رسول الله ﷺ .
- مولده: ولد رضي الله عنه بشعب بني هاشم، قبل الهجرة النبوية بثلاث سنين.
- أمه: هي أم الفضل لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية، من هلال بن عامر.
- دعاء النبي ﷺ له: لقد نال من بركة دعاء رسول الله ﷺ وظهر أثر ذلك في حياته العلمية والدعوية، من ذلك قوله: «ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعٌ. فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ ، ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ ، فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، مِثْلَ زِرِّ الْحَجَلَةِ»(١).

وفي رواية أخرى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ أتى الخلاء فوضعت له وضوءًا، فلما خرج، قال: مَنْ وضع هذا؟ قالوا: ابن عباس، قال: اللهم فقهه»(٢).

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ك الوضوء، دون تبويب، جـ١ ،صـ ٤٩ حديث رقم (١٩٠).

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه ك الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء جـ ١، صـ ٤٧، حديث رقم (١٤٣)، رواه الإمام مسلم في صحيحه، ك فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ص =

ودعاء الرسول الكريم له بعلم التأويل ظهر جليًا في حياته كلها لا سيما فقهه الكبير حال مناظرته للحرورية.

– ثناء الصحابة عليه:

وأما عن ثناء الصحابة عليه ومدحهم إياه، فقد حظي بثناء وافر لبراعته في العلوم، وتبحره في مختلف الفنون، من ذلك : أن المهاجرين قالوا لعمر رضي الله عنه: ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس؟ فقال: ذاكم فتي الكهول، إن له لسانًا سؤولًا، وقلبًا عقولًا، وقال سعد بن أبي وقاص ﷺ: ما رأيتُ أحد أحضر فهمًا، ولا ألب عقلًا، ولا أكثر علمًا، ولا أوسع حلمًا من ابن عباس(١).

وقال في حقه طلحة بن عبيد الله ﷺ: لقد أُعطى ابن عباس فهمًا، وعلمًا، وما كنت أُرى – أي أظن – عمرُ يُقدم عليه أحدًا(٢).

ويلاحظ أن هؤلاء ﷺ الذين أثنوا عليه من العشرة المبشرين بالجنة، فيا له من شرف عظيم لابن عباس ﷺ.

وفاته: وبعد حياة حافلة بالجهدين العلمي والدعوي لقي عبد الله بن عباس ربه سنة ثمان وستين، عن احدى وسبعين سنة، ودفن بالطائف(٣).

=

١٣٠٢، حديث رقم (٢٤٧٧) وجاء في رواية الإمام الطبراني "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" المعجم الكبير، الإمام سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، جـ١٠، صـ٢٦٣ حديث رقم (١٠٦١٤) المحقق: حمدي بن عبد الحميد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ١.

(١) سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت ٧٤٨هـ، جـ٤، صـ ٣٨٧، خرج أحاديثه وعلق عليه: محمد أيمن السراوي، دار الحديث: القاهرة، سنة الطبع ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

(٢) المصدر السابق، جـ٤، صـ ٣٨٧.

(٣) ينظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، من صـ ٣٧٩ إلى صـ ٣٩٤، وينظر: أسد الغابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، عز الدين بن الأثير، (ت: ٦٣٠ هـ)، جـ ٣، =

فرضي الله عنه وأرضاه، وحري بالدعاة السير على منواله في فقه إدارة المناظرات وحسن عرضها وقوة إقناعها لخدمة الدعوة الإسلامية.

ثانيًا: نص مناظرته للحرورية:

لقد جاءت مناظرة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما للحرورية في المظان الحديثية المعتمدة بروايات متعددة، بعضها مجمل، وبعضها مفصل، فعمل الباحث على الجمع لزيادة الفائدة، وإلى نص المناظرة:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما خرجت الحرورية اجتمعوا في دار، وهم ستة آلاف، أتيت عليًا رضي الله عنه، فقلت يا أمير المؤمنين: أبرد بالظهر لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم. قال: إني أخاف عليك، قال: قلت: كلا، قال: فخرجت آتيهم، ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن، فأتيتهم وهم مجتمعون في دار، وهم قائلون[1]، فسلمت عليهم، فقالوا: مرحبًا بك يا أبا عباس، فما هذه الحلة؟ قال: قلت: ما تعيبون عليَّ؟ لقد رأيت على رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحُلل ونزلت: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾»[2].

قالوا: فما جاء بك؟ قلت: أتيتكم من عند أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار، لأبلغكم ما يقولون، وتخبرون بما تقولون، فعليهم نزل القرآن، وهم أعلم

=

ص ١٨٦ – ١٩٠، الناشر: دار الفكر – بيروت، عام النشر: ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م، وينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، (ت: ٤٦٣ هـ)، جـ ٣، صـ ٩٣٣، ٩٣٩، ترجمة رقم (١٥٨٨)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، ط ١ سنة ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م.

(١) من القيلولة.

(٢) جزء آية من سورة الأعراف، رقم (٣٢).

بالوحي منكم، وفيهم أنزل، وليس فيكم منهم أحد، فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشًا، فإن الله يقول: «﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[١].

وفي رواية قال عبد الله بن شداد: فدخلنا عليهم حتى إذا توسطنا عسكرهم قام ابن الكواء يخطب الناس؟ فقال: يا حملة القرآن: إن هذا عبد الله بن عباس فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه من كتاب الله ما يعرفه به: هذا ممن نزل فيه وفي قومه: ﴿قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾، فردوه إلى صاحبه، ولا تواضعوه كتاب الله، فقام خطباؤهم فقالوا: والله لنواضعنه كتاب الله، فإن جاء بحق نعرفه لنتبعنه، وإن جاء بباطل لنبكتنه بباطله، قال ابن عباس: وأتيت قومًا لم أر قومًا قط أشد اجتهادًا منهم مُسهَّمة[٢] وجوههم من السهر، كأن أيديهم وركبهم ثفن[٣]، عليهم قمص مُرحضة[٤]: قلت: أخبروني ماذا نقمتم علي ابن عم رسول الله وصهره والمهاجرين والأنصار، قالوا: ثلاثًا، قلت: ما هن؟ قالوا: أما إحداهن فإنه حكم الرجال في أمر الله، قال الله عز وجل: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[٥]، وما للرجال وما للحكم؟ فقلت: هذه واحدة. قالوا: وأما الأخرى: فإنه قاتل ولم يَسب ولم يَغنم، فلئن كان الذين قاتل كفارًا لقد حل سبيهم وغنيمتهم، وإن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم؟ قلت: هذه اثنتان، فما الثالثة؟ قال: إنَّه محا نفسه من أمير المؤمنين فهو أمير

---

(١) جزء آية من سورة الزخرف، رقم (٥٨).

(٢) مسهَّمة: من السهوم وهو الضمر، [أي: الضعف]. غريب الحديث للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦ هـ، جـ ٢، صـ ٢٥٤، المحقق: د/ عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني – بغداد، ط ١، سنة ١٣٩٧ هـ.

(٣) ثَفِنْ: أي: الثفنة ركبة الإنسان، وقيل: لعبد الله بن وهب الراسبي رئيس الخوارج: ذو الثفِنات؛ لكثرة صلاته، ولأن طول السجود كان أثَّر في ثفِناته. لسان العرب للإمام ابن منظور، جـ ١٣، صـ ٧٩، الناشر: دار صادر – بيروت، ط ٣ سنة ١٤١٤ هـ.

(٤) مرحَّضة: أى المغسولة، يقال: رحضتُ الثوب إذا غسلتُه. غريب الحديث للإمام ابن قتيبة الدينوري، جـ ٢، صـ ٢٥٤.

(٥) جزء آية من سورة الأنعام رقم (٥٧)، وجزء آية من سورة يوسف آية رقم (٤٠).

الكافرين. قلت: أَعِندكم سوى هذا؟ قالوا: حسبنا هذا. فقلت لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم وحدثتكم من سنة نبيه ﷺ ما لا تشكون ما يَردُ به قولكم أترضون وترجعون؟ قالوا: نعم، فقلت لهم: أما قولكم : حكم الرجال في أمر الله فأنا أقرأ عليكم ما قد ردَّ حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم في أرنب ونحوها من الصيد، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾[(١)]**، فنشدتكم بالله: أحكم الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم وإصلاح ذات بينهم، وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يُصيِّر ذلك إلى الرجال؟**

وفي المرأة وزوجها، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ [(٢)]**، فجعل الله حكم الرجال سنة ماضية[(٣)]، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم. قال: وأما قولكم: قاتل فلم يَسب ولم يَغنم، أتسبون أمكم عائشة، ثم تستحلون منها ما يُستحل من غيرها؟ فلئن فعلمتم لقد كفرتم، وهي أمكم، ولئن قلتم: ليست بأمنا لقد كفرتم فإن الله تعالى يقول:** ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾[(٤)]**، فأنتم تدورون بين ضلالتين، أيهما صرتم إليها صرتم إلى ضلالة، فنظر بعضهم إلى بعض، قلت: أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.**

وأما قولكم: محا نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما ترضون، أُريكُم قد سمعتم[(٥)] أن النبي ﷺ يوم الحديبية[(٦)] كاتب المشركين: سهيلَ بن عمرو، وأبا سفيان بن حرب،

---

(١) جزء آية من سورة المائدة رقم (٩٥).

(٢) جزء آية من سورة النساء رقم (٣٥).

(٣) أي: مستمرة.

(٤) جزء آية من سورة الأحزاب رقم (٦).

(٥) أي: أظنكم قد وصلكم.

(٦) كان ذلك سنة ست للهجرة في ذي القعدة، وهذا هو الصحيح، وهو قول ابن شهاب الزهري، ونافع مولى ابن عمر، وقتادة، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق، وهذا هو رأي الجمهور. ينظر: صحيح =

فقال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين: أكتب يا علي: هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله.

فقال المشركون: لا والله ما نعلم أنك رسول الله، لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك؟ فقال رسول الله: اللهم إنك تعلم أني رسولك: اكتب يا علي: هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله، فوالله لرسول الله خير من علي، وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه.

قال: عبد الله بن عباس: فرجع من القوم ألفان، وقُتل سائرهم على ضلالة، قتلهم المهاجرون والأنصار.

قالت عائشة: يا عبد الله بن شداد: فقد قَتَلهَم؟ فقال: والله ما بعث إليهم حتَّى قطعوا السبيل، وسفكوا الدم، واستحلوا أهل الذمة»(١).

=

السيرة النبوية. المؤلف: إبراهيم بن حسين العلي الشبلي، ت ١٤٢٥ هـ، صـ ٢٩٨، تقديم: د/ عمر سليمان الأشقر، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١ سنة ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، وشروط صلح الحديبية كانت في الظاهر ضد المسلمين، لكن بالتأمل والنظر للعواقب كنت نُصرة للإسلام وقوة للمسلمين.

(١) ينظر: مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ت: ٢٤١ هـ، جـ ٢، صـ ٨٤، أثر رقم (٦٥٦)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين بإشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ١، سنة ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م، وقال الشيخ أحمد شاكر عن الأثر: إسناده صحيح، ينظر: مسند أحمد، جـ ١، صـ ٤٥٢، حديث رقم (٦٥٦)، دار الحديث - القاهرة، ط ١، سنة ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، وينظر: السنن الكبرى، الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٣ سنة ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م، وينظر: السنن الكبرى، الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي ت: ٣٠٣ هـ، جـ ٧، صـ ٤٨٠، أثر رقم (٨٥٢٢)، حققه وخرَّج أحاديثه: حسن عبد المُنعم حسن شلبي، أشرف عليه: الشيخ/ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، سنة ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م، وينظر: المستدرك على الصحيحين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، المعروف بابن البيع، ت: ٤٠٥ هـ، جـ ٢، صـ ١٦٤، أثر رقم (٢٦٥٦)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه، ووافقه الذهبي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا،

=

وإذا تم الانتهاء من عرض نص مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما للحرورية، فماذا عن فقه المناظرة الدعوية– الذي استخدمه رضي الله عنهما مع الحرورية؟

هذا ما سوف نتعرف عليه في ضوء الفصول الثلاثة التالية.

=

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١ سنة ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠ م، وينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، ت ٨٠٧ هـ، صـ ٢٣٥، أثر رقم (١٠٤٤٤)، وقال: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدس، القاهرة، عام النشر ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م، وينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الإمام جلال الدين السيوطي، جـ ٢، صـ ٥٢٧ – ٥٢٨، الناشر: دار الفكر، بيروت.

الفصل الأول

فقه التهيئة للمناظرة الدعوية

ويتكون من مبحثين

• المبحث الأول: التهيئة القلبية.

ويتكون من مطلبين

المطلب الأول: الحرص على هداية المخالف.

المطلب الثاني: حسن التوكل على الله تعالى.

• المبحث الثاني: التهيئة الظاهرية

ويتكون من مطلبين

المطلب الأول: حسن المظهر.

المطلب الثاني: الذهاب لموطن الخصم.

مدخل:

إن الدعوة الإسلامية تحتاج إلى داعية نشيط يحمل همَّ دعوته وهمَّ حرصه على خلق الله تعالى للوصول بهم إلى مرضاة الله تعالى، وهذا الحرص قد اجتمع معه التوكل على الله سبحانه، لأن الحرص دون توكل يفقد الداعية به الثقة في نصر الله له، وهما أمران يتعلقان بباطن الداعية وقلبه لا يُكتفي بأحدهما عن الآخر. وكما استعد الداعية بباطنه لخوض المناظرات مع المخالفين من أهل القبلة فمن فقه المناظرات الدعوية أيضا أن يستعد بظاهره كحسن مظهره وتحركه لأجل إيقاف المخالفين على دعوة الإسلام الصحيحة بالطرق السوية، وبهذا يصير الداعية مجهزًا تجهيزًا روحيًا لأداء مهمته حال المناظرة على أكمل وجه.

فإلى المبحث الأول من هذا الفصل والذي هو بعنوان: التهيئة القلبية :

المبحث الأول

التهيئة القلبية

ويتكون من مطلبين

المطلب الأول: الحرص على هداية المخالف.

المطلب الثاني: حسن التوكل على الله تعالى.

المطلب الأول

الحرص على هداية المخالف

من مهام الداعية الحق الحرص على إرشاد الغاوين وإرجاع الشاردين عن الحق إلى العدل والصواب، وهذا ما اتضح جليًا في ضوء مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما للحرورية حيث حرص رضي الله عنه على ردهم إلى وحدة الصف المسلم والبعد عن تمزيق قوتها وذلك بمناقشة أفكارهم وتفنيد آرائهم عن طريق فقه إدارة المناظرة مما لفت القلوب نحو حديثه:

ومن مظاهر الحرص على هدايتهم ما يلي:

أولًا: أن ابن عباس رضي الله عنهما علم أن الحرورية يستحلون الدم الحرام ويبطشون بالأبرياء ويسفكون دماء المعصومين، ومع ذلك حرص على الذهاب إليهم لمناظرهم ليردهم إلى رشدهم وصوابهم، وللعمل على وحدة الصف بدل تمزيقه، وهذا سبيل الدعاة الصادقين وهو الحرص على هداية الحيارى وإنقاذهم من براثن الشبهات إلى نور الصواب والهدى.

ثانيًا: أنه رضي الله عنهما أراد أن يقوي موقفه حال وجوده معهم ليحفزهم على الرجوع وليشجعهم على قبول الحق وليستنهض هممهم للبحث عن الصراط المستقيم، فاستند إلى مجيئه من عند أصحاب النبي ﷺ – المهاجرين والأنصار –، ومن عند ابن عم النبي ﷺ، كما قال رضي الله عنه: "أتيتكم من عند أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار،

لأبلغكم ما يقولون، وتخبرون بما تقولون، فعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بالوحي منكم، وفيهم أنزل، وليس فيكم منهم أحد"[1]، كما قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾[2]، فالصحابة رضي الله عنهم أفهم الناس عقولًا، وأشدهم تحريًا للصواب، وأعمقهم فهمًا للأدلة، وأصدقهم اتباعًا، وأقواهم غيرة على شرع الله ودينه، ومع ذلك لم يطرأ على أذهانهم ما طرأ على عقل الحرورية، فلو كان الحرورية على خيرٍ لسبقهم الصحابة إلى هذا الخير، وهذا بدوره يجعل الحرورية تفكر في الرجوع إلى الحق، فكان استناد ابن عباس إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يصبُّ في مصلحة الحرورية، وما فعل ابن عباس هذا إلا لشدة حرصه على رجوعهم إلى الجماعة ونبذ الفرقة والاختلاف.

ثالثًا: أنه رضي الله عنه كان مستمعًا جيدًا لشبهاتهم، ولم يقطع عليهم حديثهم حتى فرغوا من كل ما علق بأذهانهم وهذا ينم عن فقهه ووعيه الشديدين؛ لأن الداعية إذا استمع للشخص للنهاية استطاع أن يجيب وهو ثابت الجنان مطمئن الفؤاد لأنه وقف على جميع جوانب الموضوع المطروح وبهذا يأخذ الداعية بيد أخيه للحق وهو عين الحرص عليه، وهذا ما تم من قِبَل ابن عباس تجاه الحرورية.

رابعًا: أنه رضي الله عنه من شدة حرصه على هدايتهم كان يأتي بأكثر من دليل أو شاهد حال الرد على الشبهة ليكون ذلك حافزًا لهم على الرجوع إلى الصواب كما في الرد

---

(١) ينظر: مسند الإمام أحمد، جـ ٢، صـ ٨٤، أثر رقم (٦٥٦).

(٢) سورة الحشر، آية رقم ٨، ٩.

على الشبهة الأولى حين اعترضوا على تحكيم الرجال وقالوا: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، فذكر لهم آية الصيد[1]، وآية التحكيم[2] حال الخلاف بين المرأة وزوجها، وكان بالإمكان أن يكتفي بذكر دليل واحد، لكنه نوَّع الاستدلال ليأخذ بأيديهم إلى سبيل الهدى، وهذا من أوجه حرص ابن عباس عل رجوع الحرورية.

خامسًا: أنه رضي الله عنه حرص على الإجابة على أسئلتهم، فلم يدع سؤالًا إلا وأجاب عليه ولم يُبقِ شبهة إلا وفنَّدها ولم يدعْ شكًا أو التباسًا إلا وقضى عليه، حتى ولو كانت شبهاتهم أوهى من بيت العنكبوت، وهذا دليل الحرص على هدايتهم والطمع فى استقامتهم، فلم يستخف بعقولهم ولم يستهزيء بأفكارهم. ولما اهتم بهم رضي الله عنه كانت النتائج مبشرة والنهاية موفقة ، فرجع منهم ألفان وتابوا إلى الله توبة نصوحًا، وعلى هذا المنوال ينبغي على الدعاة أن ينسجوا دعوتهم.

وإذا حرص الداعية على هداية المدعو المخالف فإن هذا الحرص يحتاج إلى أمر آخر يسانده وهو حسن التوكل على الله تعالى، وهذا ما سيتم التعرف عليه من خلال المطلب التالي:

---

(١) سورة المائدة، آية رقم ٩٥.

(٢) سورة النساء، آية رقم ٣٥.

المطلب الثاني
حسن التوكل على الله تعالى

من أهم الأمور الفقهية القلبية التي فعلها ابن عباس رضي الله عنهما حين هم بالعزم لمحادثة الحرورية والوقوف على ما في عقولهم من آراء وأفكار، هو حسن توكله على ربه وخالقه، وهذا ما ظهر جليًا حينما طلب من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذهاب إلى الحرورية لمناقشتهم فتخوف عليه أمير المؤمنين منهم لأجل قماوتهم في أمر إزهاق الأرواح واستحلال دماء مخالفيهم، غير أن رد فعل ابن عباس رضي الله عنهما بقوله: كلا، ليدل دلالة واضحة على قوة يقينه وشدة إيمانه وحسن توكله على ربه، فقد ذكر الإمام البيهقي أن ابن عباس رضي الله عنهما قال لعلي رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين أبرد بالظهر لعلي آتى هؤلاء القوم فأكلمهم، قال: إني أخاف عليك، قال: قلت: كلا[1].

فجوابه بكلمة: كلا خرجت من قلب مملوء بالثقة الكاملة في موعود الله ونصره، ولا عجب في هذا على ابن عباس رضي الله عنهما فإنه قد أخذ بوصية رسول الله ﷺ له حين كان غلامًا وحولها من أمر نظري إلى ميدان عملي كي يستفيد من توكله الدعاة على مر الأيام والدهور فقال ابن عباس: «كنت خلف رسول الله رضي الله عنهما يومًا فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجَاهك، إذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف»[2].

---

(١) السنن الكبرى، جـ ٨، صـ ٣٠٩.

(٢) سنن الترمذي للإمام محمد بن عيسى بن سوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى الترمذي، ت ٢٧٩ هـ، جـ ٤، صـ ٦٦٧، المحقق: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: شركة مكتبة =

ومع أخذه لوصية رسول الله ﷺ بعين الاعتبار فقد وضع نصب عينيه قول الله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[1]، وهو ﷺ خير مَنْ يفهم كتاب الله تعالى فهو حبر الأمة وترجمان القرآن.

وحسن توكل ابن عباس ﷺ على ربه جعله في مأمن من الخوف ممن ذهب إلى مناظرتهم، فاستطاع أن يرتب أفكاره وردوده في حلقات متصلة ضمن سلسلة واحدة مما يكون له أكبر الأثر على نفسية المستمعين وعقولهم، كما حدث للحرورية، فقد تراجع عدد كبير منهم جراء استماعهم لدرر علمية وواقعية خرجت من في ابن عباس ، وسبب توفيقه: حسن توكله على ربه، لا سيما وهو القائل ﷺ عن تعريف التوكل بأنه: «الثقة بالله»[2]، ومما هو معلوم أن التوكل من أعمال القلوب، ويحتاج إلى مجاهدة قلب ورياضة نفس، حتى يصل العبد إلى مراده .

وتعريفه للتوكل على اختصار لفظه إلا أنه واسع المعنى، غزير المضمون، وبالنظر إلى أرض الواقع يتضح أن ابن عباس قد وثق في نصر الله له وتأييده على الحرورية فكانت النتيجة موفقة ومسددة، فعلى قدر توكل الداعية على قدر فوزه ونجاحه.

وعن أوجه الإفادة في هذا المقام فعلى النحو التالي :

=

ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط ٢ سنة ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م، وقال الإمام الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(١) سورة التوبة، الآية رقم (٥١).

(٢) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت ٥٩٧ هـ، جـ ١، صـ ٣٢٠، المحقق: عبد الرازق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ، وينظر: التوكل على الله وعلاقته بالأسباب، د/ عبد الله بن عمر الدميجي، صـ ١٦، الناشر: دار الهدي النبوي – مصر، دار الفضيلة، السعودية، طـ ٣، ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١ م.

– التوفيق في الدعوة لاسيما حسن العرض كما قال سبحانه: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ﴾[1].

– عدم الانشغال بالتخوف من المخالف، لأن التخوف يشوش الأفكار ويعدم الابتكار في مجال إدارة المناظرة ، فيعمل الداعية على تفويض الأمر لله ، كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ۖ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾[2].

وعلى هذا فالتوكل ما هو إلا امتثال لأمر الله كما قال جل جلاله: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾[3].

– تقوية العزيمة : فالتوكل يولد النشاط لخوض المناظرة في أبهى صورة ، وللداعية أسوة حسنة في نبي الله هود عليه السلام عندما تحداه قومه، وفي هذا يقول الله سبحانه: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾[4]. **فالتوكل ينشط الذاكرة ليخرج أجمل ما فيها حال المناظرات خدمة للدعوة الإسلامية .**

*** إذا تقرر هذا، فماذا عن التهيئة الظاهرية ؟ هذا ما سيتم الكشف عنه في ضوء المبحث التالي.**

---

(١) سورة الطلاق، جزء من الآية رقم (٣).

(٢) سورة النساء، الآية رقم (٨١).

(٣) سورة النمل، الآية رقم (٧٩).

(٤) سورة هود، الآيات، (٥٣ – ٥٦).

المبحث الثاني

التهيئة الظاهرية

ويتكون من مطلبين

المطلب الأول: حسن المظهر.

المطلب الثاني: الذهاب لموطن الخصم.

المطلب الأول: حسن المظهر.

مما لا شك فيه أن الدعاة مأمورون بتحسين هيئاتهم ومظاهرهم كما أمروا بطهارة قلوبهم ونقاوة أفئدتهم، لا سيما إذا اجتمعوا مع المدعوين في محافل وعظية أو مناظرات علمية، لأن النفوس جبلت على حب الجمال وفطرت على السرور بالمظهر الحسن، وهذا ما وعاه ابن عباس ﷺ عندما أراد الذهاب إلى الحرورية فارتدى أجمل ما لديه حتى يظهر أمامهم بمظهر لائق بالعلم والعلماء، وهذا من فقهه العالي حال المناظرات فقال عن نفسه «فخرجت آتيهم، ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن، فأتيتهم وهم مجتمعون في دار، وهم قائلون، فسلمت عليهم فقالوا: مرحبًا بك يا أبا عباس، فما هذه الحلة؟ قال: قلت: ما تعيبون علي؟ لقد رأيت على رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل، ونزلت ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾»[1].

فلما همَّ ﷺ بالذهاب إلى الحرورية لبس أجمل الثياب هيبة للعلم، ووقارًا للدعوة، وجمالًا للناظرين، وقد استن في ذلك برسول الله ﷺ عندما كان يأمر أصحابه ﷺ بارتداء أجمل ما لديهم حال قدومهم على الناس فقال عليه الصلاة والسلام: «إنكم قادمون على إخوانكم فأحسنوا لباسكم وأصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم

(١) جزء آية من سورة الأعراف، رقم ٣٢. وينظر: السنن الكبرى للبيهقي، جـ ٨، صـ ٣٠٩.

شامة في الناس»[(١)].

فأراد عليه الصلاة والسلام من أصحابه أن يتجملوا في ثيابهم كي يظهروا في أحسن منظر وأطيب صورة ويكونوا علامة مضيئة بين الناس. ويعلق الإمام الصنعاني على هذا الحديث تعليقًا يحتاج إليه الدعاة في العصر الحاضر، فيقول: «فيه الأمر بإحسان اللباس والمراد: لا تكونوا على هيئة غير مقبولة بل تحسنون الهيئة في الملبوس وفي اللباس ... حتى تكونوا كأنكم شامة: هي الخال في الجسد معروف، أراد: كونوا في أحسن زي وهيئة حتى تنظروا الناس وينظرون إليكم وكما تظهر الشامة ويُنظر إليها دون باقي الجسد ... وإن ذلك لا ينافي الزهادة في الدنيا»[(٢)].

فابن عباس رضي الله عنهما لبس أحسن الحلل من هذا المنطلق، ومع وجاهة الملبوس وقيمة قدره فإنه لا ينافي الزهد، لأن الزهد من أعمال القلوب أكثر من أعمال الجوارح، وفي الوقت ذاته لا يحمل على الكبر، لأن المقصد: الصورة الحسنة لا غير، كما قال عليه الصلاة والسلام: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق[(٣)] وغمط الناس[(٤)]»[(٥)].

---

(١) رواه الإمام الحاكم في مستدركه، جـ ٤، صـ ٢٠٣، حديث رقم (٧٣٧١)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، ووافقه الإمام الذهبي.

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، محمد بن إسماعيل بن صلاح الحسني الكحلاني، ثم الصنعاني، ت ١١٨٢ هـ، جـ ١، صـ ٤٢٤، المحقق: د/ محمد إسحاق محمد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، ط ١ سنة ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١ م، وينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، ت ٦٠٦ هـ، جـ ٢، صـ ٤٣٦، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

(٣) أي: رده ودفعه وعدم قبوله مع ظهوره.

(٤) أي: احتقارهم والسخرية منهم.

(٥) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، صـ ٦٥، حديث رقم (٩١).

فلباس الداعية الحسن من باب إظهار نعمة الله عليه، والدخول على الناس في أبهى صورة وأجمل منظر لتهيئتهم على قبول الحق وعدم نفرتهم في حالة رثاثة الثياب.

وإن ارتداء ابن عباس رضي الله عنهما لأجمل ما عنده لفت أنظار الحرورية لدرجة أنهم سألوه عن سر هذه الوجاهة، وهذا يدل على أن الثوب الحسن يجذب الأنظار ويريح القلوب، فكان جوابه هو الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن.

كذلك أيضًا: علم ابن عباس أن رثاثة الثياب وقبح الهيئة لا يعين المدعو على الانتصاح فعمل رضي الله عنه على الحفاظ على مشاعرهم ومساعدتهم في الوصول للصواب بالهيئة الطيبة.

وإذا وقع الداعية فيما ينافي حسن المظهر أعرض الناس عنه وعن دعوته كما حدث مع إياس بن معاوية المزني[1] «عندما جلس في حلقة في جامع دمشق، فتكلم رجل من بني أمية فرد عليه إياس، فأغلظ له الأموي فقام إياس، فقيل للأموي: هذا إياس بن معاوية المزني، فلما عاد من الغد اعتذر له الأموي وقال: لم أعرفك، وقد جلست إلينا بثياب السوقة وكلمتنا بكلام الأشراف فلم تحتمل[2] ذلك»[3].

فكان سر إغلاظ الأموي لإياس: رثة الثياب، فإنه لم يلتفت إلى كثرة علمه ولا قوة حجته ولكن شد انتباهه سوء المنظر فلم يأبه به بل شدد عليه. ولأهمية حسن السمت والهيئة أَوْرَدَ الإمام ابن عبد البر هذه الأبيات:

---

(١) هو إياس بن معاوية المزني، قاضي البصرة، روى عن أنس وابن المسيب، وكان يضرب به المثل في الذكاء والدهاء والسؤدد والعقل، توفي سنة إحدى وعشرين ومائة كهلًا. سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، جـ ٥، صـ ٤٧١.

(٢) أي: تقبل.

(٣) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ)، جـ ٩، صـ ٣٣٥، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦ م.

والأدب النـــافع حســـن الســـمت وفي كـــثير القـــول بعـــض المقـــت
فكـــن لحســـن الســـمت مـــا حييتـــا مقارفًـــا تُحمـــد مـــا بقيتـــا

وأما عن الإفادات الدعوية من فقه ابن عباس تجاه حسن ثيابه تهيئة للمناظرة فكما يلي:

– الداعية قدوة: فالمدعو كما أنه يستمع إلى قول الداعية وينبهر بفكره فإنه كذلك يقتدي به في حسن منظره وهيئته، حتى قال أحد المحدثين[١]: «كانوا يتعلمون من الفقيه كل شيء حتى لباسه ونعليه»[٢].

– التفريق بين الثوب الحسن ولباس الشهرة: فالداعية يراعي الفرق بين الأمرين، وهذا يحتاج إلى نية حسنة، كما صنع ابن عباس رضي الله عنهما حال ذهابه للحرورية، فقد لبس حلة قيمة من باب أن ذلك من الطيبات والظهور بشكل حسن، ولم يكن ثوب شهرة ولا قصد به الشهرة، وهكذا فالداعية الحصيف لا يخلط بين الحالتين، لأن الثوب الحسن من الطيبات بخلاف ثوب الشهرة فقد قال عليه الصلاة والسلام في حق صاحبه: «مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوْبًا مِثْلَهُ. زَادَ عَنْ أَبِي عَوَانَةَ ثُمَّ تُلَهَّبُ فِيهِ النَّارُ حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، نَا أَبُو عَوَانَةَ قَالَ: ثَوْبَ مَذَلَّةٍ»[٣].

فعامله الله بنقيض قصده لما أراد الشهرة فجازاه ربه بالمذلة يوم القيامة . وثوب الشهرة ليس شرطًا أن يكون غالي الثمن، قال الإمام الشوكاني: «والحديث يدل على تحريم لبس ثوب الشهرة وليس هذا الحديث مختصًا بنفيس الثياب، بل قد يحصل ذلك لمن

---

(١) هو الإمام سليمان بن مِهران الأعمش.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح، شمس الدين المقدسي ثم الصالحي الحنبلي، ت ٧٦٣ هـ، جـ ٢، صـ ١٤٩، الناشر: عالم الكتب.

(٣) سنن أبي داود، للإمام سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني، ت ٢٧٥ هـ، جـ ٤، صـ ٤٣، حديث رقم (٤٠٢٩)، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية – صيدا، بيروت.

يلبس ثوبًا يخالف ملبوس الناس من الفقراء ليراه الناس فيتعجبوا من لباسه ويعتقدوه. وإذا كان اللبس لقصد الاشتهار في الناس فلا فرق بين رفيع الثياب ووضيعها والموافق لملبوس الناس والمخالف لأن التحريم يدور مع الاشتهار والمعتبر القصد وإن لم يطابق الواقع»[(١)].

– النشاط الزائد والثقة بالنفس:

مما هو معلوم أن الهيئة الحسنة للداعية تعطي له راحة قلبية تجاه نفسه فيشعر بالثقة في نفسه مما يكون له أكبر الأثر على ترتيب أفكاره وتنظيم آراءه، وهذا ما حدث مع ابن عباس رضي الله عنهما، فثوبه الحسن وهيئته المُهابة، ولدت في نفسه الهمة والنشاط، بخلاف مَنْ يرتدون ألبسة دون المستوى اللائق بالدعوة والدعاة فيدخل على نفسه الفتور والإحباط والشعور بضيق الصدر وحبس النفس مما يكون له الأثر السيئ على حديثه والذي بدوره لا يستفيد منه المدعو.

إذا تقرر هذا، فماذا عن الذهاب للخصم في قعر داره ؟ هذا ما سيتم التعرف عليه في ضوء المطلب الثاني:

(١) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ت ١٢٥٠ هـ، جـ ٢، صـ ١٣٢، نقلًا عن الإمام ابن رسلان. تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث بمصر، ط ١، سنة ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م.

المطلب الثاني
الذهاب لموطن الخصم

مما لا شك فيه أن الداعية صاحب رسالة سامية تحتاج إلى نشر بأسلوب علمي دقيق وهذا النشر يحتاج إلى همته ونشاطه بين المدعوين ولا يمكث في بيته أو مسجده وينتظر قدوم الناس عليه، وبالنظر إلى ما قام به الحرورية من اعتزال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والاستعداد لمقاتلته لم ينتظر ابن عباس رضي الله عنهما رجوع الحرورية إليه في الأمور التي أخذوها على أمير المؤمنين، بل سعى إليهم بكل جدية ونشاط للعمل على مناقشة ما في نفوسهم تجاه الخليفة وسائر الرعية، فقال رضي الله عنه عن نفسه: «ولبست أحسن ما يكون في الحلل فأتيتهم وهم مجتمعون في دار، وهم قائلون»[(١)].

فهو رضي الله عنه في مثل هذا المقام يُعلم الدعاة سرعة التوجه إلى المخالف وبحث أفكاره وهي في مهدها لعله أن يستطيع أن يقضي على الخلاف القائم بين الطرفين، وأن هذا لن يتم إلا بالذهاب للمخالف في عقر داره وعدم انتظار مجيئه.

وقد كان من الممكن أن يرسل إليهم رسولًا يطلب منهم اللقاء في مكان ما لبحث هذه الأمور، أو يرسل إليهم كتابًا أو رسالة يشرح لهم فيها مقصد أمير المؤمنين من وراء تصرفاته الحكيمة وأوامره السديدة، أو يجعل رجلًا وسيطًا بينه وبينهم لنقل ما يتم تداوله بين الطرفين.

لم يصنع شيئًا من ذلك ، إنما ذهب بنفسه لتقصِّي الأوضاع والوقوف على حقائق الأمور، ومن باب الاهتمام بهم أيضًا، فهذا يجعلهم يفكرون فيما يملى عليهم وما يُطلب منهم، وهذا من فقهه الرائع للتهيئة للمناظرة الدعوية .

وفي الحقيقة أن ابن عباس رضي الله عنهما بفعله هذا قد اقتدى برسول الله ﷺ في هذا

---

(١) مسند الإمام أحمد، جـ ٢، صـ ٨٤، أثر رقم (٦٥٦).

الباب، حيث إنه ﷺ كان يذهب إلى الناس في بيوتهم لدعوتهم إلى الله تعالى، وهي طريقة مثمرة أتت بالخير الوفير والنتاج الكبير. روى الإمام الحاكم في مستدركه عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: «إن رسول الله ﷺ لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في الموسم ومَجنَّة وعُكاظٍ ومنازلهم مِن مِنَىً: مَنْ ينصرني حتى أبلغ رسالات ربي فله الجنة؟»(١).

ولم يقتصر رسول الله ﷺ في ذلك على المرحلة المكية بل تعدى الأمر إلى المرحلة المدنية كذلك، كي يعلم الداعية أن الدعوة إلى الله تعالى تحتاج إلى همة ونشاط سواء وهي في مهدها أم في أوج انتصاراتها، فروى الإمام البخاري في صحيحه عن أنس ﷺ قال: «كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار»(٢).

فثمرة النشاط في الدعوة والذهاب إلى منزل المدعو مباركة، وفيها سرعة استجابة المدعو لأنه أحس باهتمام الداعية نحوه، وهذا ما حدث من وراء مناظرة ابن عباس للحرورية حيث إن عددًا كبيرًا منهم تنازل عن أفكاره المخالفة وانضم إلى قافلة الحق التي تسير على الصراط المستقيم بفضل فقه التهيئة للمناظرات.

* ومن الإفادات الدعوية في هذا المقام :

– أهمية الاتصال المباشر: فعندما يلتقي الداعية الفطن بالمدعو المراد الحديث معه

---

(١) جزء من حديث، جـ ٢، صـ ٦٨١، حديث رقم (٤٢٥١). قال الإمام الذهبي: صحيح. ينظر: هامش المستدرك، جـ ٢، صـ ٦٨١. رقم (٤٢٥١).

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه؟ وهل يُعرض على الصبي الإسلام؟، جـ ١، صـ ٣١٣، حديث رقم (١٣٥٦).

فإنه من خلال قسمات وجهه يعلم هل هو مقر للكلام أو منكر له، وهل عنده استعداد لقبول الحق أو أنه من المراوغين المجادلين، وهل بعد هدايته إلى الصواب: يكتفي بخاصة نفسه أم أنه يسعى لنشر المفاهيم الصحيحة من باب مساعدة الداعية ومؤازرته؟ هذا كله لا يُعرف إلا من خلال الاتصال المباشر بالمدعو للوقوف على حقيقة معدنه ونوع عزيمته.

- يُفرق بين دعوة المخالف وطالب العلم:

على الداعي الحق الحريص على المدعوين أن يراعي الفوارق بينهم، فطالب العلم يأتي مجالس العلماء ويكابد مشاق السفر لأجل تحصيل العلم، ويصبر على شدة الطلب، وفي مثل هذا الموطن يقول ابن عباس لشيخه زيد بن ثابت_ وكان ابن عباس يأتيه إلى بيته للعلم _: «العلم يُؤتى ولا يأتي»[(١)].

فابن عباس ﷺ وضع الشيء في موضعه مع طالب العلم، بخلاف العامة فإن من باب الدعوة بالحسنى الذهاب إليهم، وهو ما صنعه ابن عباس تجاه الحرورية، وفي نظائرهذا يقول الشيخ رشيد رضا: «ومما يُناط بهذه الأمة وهو أصل كل معروف النظر في تعليم الجاهلين، فإذا علمت أن في مكان ما طائفة من المسلمين جاهلين بما يجب اتخذت الوسائل لتعليمهم، ومن هنا يُعلم فساد ما يقوله كثير من الفقهاء من أنه لا يجب عليهم أن يتصدوا لتعليم الناس....ولا يجهل أحد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد تصدى لتعليم الناس ولم يقعد في بيته منتظرًا سؤال الناس ليفيدهم، وكذلك فعل الصحابة عليهم الرضوان اهتداءً بهديه»[(٢)].

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، ت ١٠٨٩ هـ، جـ ١، صـ ٢٣٨، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: دار بن كثير، دمشق - بيروت، سنة ١٤٠٦هـ.

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد القلموني الحسيني ت ١٣٥٤ هـ، جـ ٤، صـ ٣٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٠ م.

أما الخلط بين الأمرين فلا ينبغي أن يقع فيه الداعية الفقيه .

وينعي الشيخ محمد البشير الإبراهيمي على مَنْ يسحب كلام المتقدمين في هذا الباب على واقعنا المعاصر مع عدم مراعاة اختلاف الأزمنة والأمكنة والعقول ، فيقول (إن كلمة: إن العلم يُؤتى ولا يأتي: إنما تصدق هذه الكلمة في علم غير علم الدين، وإنما تصدق بالنسبة إليه في جيل عرف قيمة العلم فهو يسعى إليه، أما في زمننا وما قبله بقرون فإن التعليم والإرشاد والتذكير أصبحت بابًا من أبواب الجهاد، والجهاد لا يكون في البيوت وزوايا المساجد، وإنما يكون في الميادين)[1].

ففي مثل هذه الأمور تظهر نباهة الداعية وحسن تهيئته للمناظرة الدعوية المثمرة.

وبانتهاء هذا المطلب من هذا المبحث والذي به يُختتم الفصل الأول، يتوجه الباحث إلى الفصل الثاني والذي هو بعنوان: فقه إنجاح المناظرة الدعوية.

---

(١) ار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جـ ٤، صـ ١١٧، جمع وتقديم: نجله د/ أحمد طالب الإبراهيمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ط ١ سنة ١٩٩٧ م.

الفصل الثاني

فقه إنجاح المناظرة الدعوية

ويتكون من خمسة مباحث

- **المبحث الأول: الاستفسار عن أوجه الخلاف.**
- **المبحث الثاني: حصر نقاط الخلاف.**
- **المبحث الثالث: الاكتفاء بمحكم القرآن وصحيح السنة.**
- **المبحث الرابع: تقرير المدعو بظهور الصواب.**
- **المبحث الخامس: الإعراض عن المشوشين.**

مدخل:

مما هو معلوم أن المناظرات الهادفة تحول مسار الأفكار من الضلال إلى الهدى ومن التشدد إلى الوسطية واليسر، وهذا النجاح الذي تحرزه المناظرات يحتاج إلى ترتيب من حيث إدارة المناظرة والتغلب على ما يعيق سيرها وفنيات التعامل مع المدعو، ووضع حدود لموضوع المناظرة حتى لا تتشعب الأفكار وتتوسع الدائرة، وهذا من الفقه الذي ينبغي على الداعية وضعه في الحسبان وعدم التغافل عنه كي يؤتى ثماره الطيبة.

وبعد هذه التوطئة يتوجه الباحث للحديث عن فقه إنجاح المناظرة الدعوية، فإلى المبحث الأول والذي هو بعنوان: الاستفسار عن أوجه الخلاف:

المبحث الأول
الاستفسار عن أوجه الخلاف

مما لا شك فيه أن الداعية الحق يحاول الوقوف على أسباب انحراف الخصم عند بداية المناظرة حتى يستطيع أن يجيب في ضوء ذلك ويرد على ما تفوهوا به لا بما سمعه عنهم، وهذا أمر مهم للغاية، فشتان بين مَنْ تسمع منه ومَنْ تسمع عنه ، وهذا ما قام به عبد الله بن عباس ﷺ حين قال للحرورية أخبروني ماذا نقمتم على ابن عم رسول الله ﷺ وصهره والمهاجرين والأنصار[1].

وبالفعل قاموا بإخباره بما أخذوه على أمير المؤمنين علي ﷺ، وإن ما صنعه ابن عباس هذا لمنهج إسلامي نبوي، فابن عباس غالبًا كان يعلم شبهاتهم لكنه أحب الاستماع منهم اقتداءً برسول الله ﷺ في مثل هذه المواقف، فكان ﷺ إذا حدث شيء من قِبل أحد أصحابه استمع منه أولًا عن سر تصرفه قبل أن يُصدر حكمًا، فروي الإمام البخاري في صحيحة عن علي ﷺ الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد الغنوي والزبير بن العوام وكلنا فارس قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ[2] فإن بها امرأة من المشركين، معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فأدركناها تسير على بعير لها، حيث قال رسول الله ﷺ ... فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ فقال عمر: يا رسول الله، قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني أضرب عنقه، فقال النبي ﷺ: ما حملك على ما صنعت، قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله، أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته مَنْ يدفع الله به عن أهله وماله، فقال النبي ﷺ صدق ولا تقولوا له إلا خيرًا. فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّهُ قَدْ

(١) السنن الكبرى، الإمام البيهقي، جـ ٨، صـ ٣٠٩، ومسند الإمام أحمد، جـ ٢، صـ ٨٤.

(٢) اسم لموضع بين مكة والمدينة.

خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، فَدَعْنِي فَلْأَضْرِبْ عُنُقَهُ. فَقَالَ: أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟ فَقَالَ: لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ ، أَوْ: فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ . فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ ، وَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»[(١)].

فقبل أن يصدر رسول الله ﷺ في حق حاطب حكمًا استفسر منه عن علة تصرفه وسر إرساله كتابًا إلى قريش يخبرهم بتجهيز رسول الله لفتح مكة، وهذا ما صنعه ابن عباس تجاه الحرورية فاستفسر منهم في بداية المناظرة عن أسرار خروجهم على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. ولم يكن سؤال رسول الله ﷺ واستفساره لحاطب مجرد موقف، بل كان منهجًا له ﷺ في مثل هذه المواقف، فعن ابن عباس: أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة، فأرسل إليها، فقال: ما حملكِ على ما صنعت؟، فقالت أحببت – أو أردت – إن كنت نبيًا فإن الله سيطلعك عليه، وإن لم تكن نبيًا أُريح الناس منك[(٢)].

واتخذ الصحابة رضي الله عنهم هذا الأمر منهجًا في حالة وجود شيء، فقبل إصدار حكم يكون الاستفسار، فهذا هو أبو موسى رضي الله عنه لما استأذن على عمر ثلاثًا، فكأنه وجده مشغولًا، فرجع فقال عمر: ألم تسمع صوت عبد الله بن قيس، ائْذنوا له، فدُعي له، فقال: ما حملك على ما صنعت، قال: إنا كنا نؤمر بهذا[(٣)].

* ومن الإفادات الدعوية في هذا المقام ما يلي:

– وقوف الداعية بنفسه على حقيقة أمر المخالف، فإن ذلك يقرب المسافات

---

(١) جزء من حديث، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرًا، جـ ٣، صـ ٥٧، حديث رقم (٣٩٨٣).

(٢) مسند الإمام أحمد، جـ ٥، صـ ٦، حديث رقم (٢٧٨٤).

(٣) جزء من حديث رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب الاستئذان، صـ ١١٤٧، حديث رقم (٢١٥٣).

ويختصر الطريق.

– قطع الأعذار أمام المخالف: فإن الداعية إذا أصدر حكمًا على المخالف دون سماع منه فلربما قال نحن لم نقل بهذا، أو أنكم فهمتم عنا خطأً، فاستماع الداعية يقطع الطريق على المخالف إذا أراد التعلل أو الهروب.

– أن الداعية يعمل على تطبيق ما سمعه على أرض الواقع كما صنع ابن عباس ﷺ، حيث إنه لما رأى رسول الله ﷺ يستجوب المرأة اليهودية التي وضعت السم في الشاة، فصنع ابن عباس ذلك مع الحرورية وسألهم عن سر تصرفهم.

إذا تقرر هذا، فماذا عن تحديد نقاط الخلاف وحصر عناصر المناظرة؟ هذا ما سيتم الحديث حوله في ضوء المبحث التالي:

المبحث الثاني
حصر نقاط الخلاف

من الأمور التي تجعل المناظرة هادفة ونتائجها مبشرة العمل على تحديد نقاط الخلاف، وحصر مسائل النزاع حتى يُعلم بداية المناظرة ونهايتها، فإذا حصر الداعية المناظرة في الأمور المطروحة فقط، فإنه لا يتشعب فكره، ولا يشرد ذهنه، إنما يسلط الضوء على ما تم الاتفاق عليه في بداية المناظرة، وعلى العكس من ذلك فإذا فتح للمناظرة العنان ولم يحدد نقاط الخلاف فإن الخصم سيجد ثغرات ينفذ من خلالها بسبب فتح أبواب كثيرة أمام الداعية، ولذلك أراد ابن عباس ﷺ غلق المناظرة على المسائل المطلوب مناقشتها فحسب، فبعد أن ذكر الحرورية له ثلاث مسائل حسم الأمر بقوله هل عندكم شيء غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا[1].

وهذا يدل على خبرته الدعوية وحنكته الفقهية وذكائه الشديد، لأن الأمر إذا بقي مفتوحًا دون تحديد معالم، فكلما أجاب الداعية عن سؤال، أخذ الخصم في التجهيز لسؤال آخر، وهكذا، وتمضي الجلسة في المناظرة دون نتائج تُذكر أو فوائد تُحصر.

- تحديد نقاط الخلاف:

فإن الفكرة تكتمل في عقل المستمع أو المُشاهِد من جميع الجوانب ومن كل الزوايا المتعلقة بالموضوع المطروح، وفي هذه الحالة يقف الجميع على أرض صلبة، بخلاف عدم التحديد والحصر فإن المناظرة تنتهي دون نتائج مهمة تشغل ذهن وعقل المخالف والمستمع والتي بسببها لا يُوفق للرجوع للحق والصواب لأن الرؤية لم تنضج لديه بعد.

ـ والحصر يؤكد على المخالف كذلك أن يعرف ماله وما عليه، فإن التحديد يدل على بداية الانطلاق ونهاية المناظرة، فإذا أُلزم بالمسائل التي تم تحديدها وجب عليه

---

(١) السنن الكبرى، الإمام البيهقي، جـ ٨، صـ ٣٠٩، ومسند الإمام أحمد، جـ ٢، صـ ٨٤.

التسليم والقبول دون اللجوء للخوض في مسائل أخرى للتشتيت أو للهروب، وهذا ما تم من ابن عباس ﷺ حين انتهى مما تم الاتفاق عليه أُلزم الخصم بالنزول على ما ظهر من الحق.

_ ظهور فقه الأولويات لدى الداعية عند الرد على الشبهات، فيعلم ما الذي يقدمه ويدعمه بالأدلة الكثيرة والشواهد المعتبرة، وما الذي يؤخره، ومن ثم تظهر المناظرة بصورة مرتبة في الفكر، منقحة في النقد، مقنعة للأفهام.

_ العمل على قصر وقت المناظرة كما كان وقت مناظرة ابن عباس ﷺ، حيث كانت بين أذان وإقامة صلاة الظهر، بدليل أنه قال لأمير المؤمنين علي : ﷺ «أبرد[1] بالظهر لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم»[2]؛ لأن قصر الوقت يحفز الداعية على العطاء المستمر والنشاط الزائد، بخلاف إذا ما كانت المناظرة طويلة فإنها تورث الملل وفتور العقل عن أدائه المعتاد، والذي يحسم القصر أو الإطالة هو حصر نقاط الخلاف أو عدم الحصر.

_ انتهاء المناظرة بالنتيجة الواضحة وهو ظهور الحق على يد أحد المتناظرين، وأن الطرف الآخر يُسلم لهذا الحق، كصنيع ابن عباس ﷺ حين حدد ما عليه الإشكال، وصل إلى أثر مبشر ونتيجة مبهرة، وعلى هذا الفهم السديد الذي سنه ابن عباس ﷺ ينبغي أن يسير الدعاة على منواله كي يأخذوا بأيدي المخالفين إلى بر الأمان وشاطئ السلامة.

وبعد حصر الداعية لنقاط الخلاف، فماذا عن الاكتفاء بالحكم حال المناظرة؟ هذا ما سيتعرض له الباحث في ضوء المبحث التالي:

---

(١) أي: أخِّر إقامة صلاة الظهر شيئًا إلى أن تنقطع شدة الحر والظهيرة.

(٢) السنن الكبرى، الإمام البيهقي، جـ ٨، صـ ٣٠٩.

المبحث الثالث

الاكتفاء بمحكم القرآن وصحيح السنة

من آكد الأمور وأهمها التي تجعل المناظرة تسير بنجاح وتؤتي ثمارها الطيبة: الاستدلال بالمحكم والواضح الذي لا يحتمل تأويلًا ولا يقبل وجوهًا أخرى، فهذا يجعل المناظرة واضحة المعالم لا لبس فيها ولا غموض بين الطرفين، ويوفر على الداعية وقته وجهده مع عظم النتائج، وهذا ما صنعه ابن عباس ﷺ مع الحرورية، حيث اتفق معهم أن المناظرة تكون أدلتها محكمة إذا كانت من القرآن، وصحيحة لا شك فيها إذا كانت من السنة، فقال لهم بعد أن عرضوا شبهاتهم وما أخذوه على أمير المؤمنين علي ﷺ: «أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم وحدثتكم من سنة نبيه ﷺ ما لا تشكون، أترجعون؟ قالوا: نعم»[(١)].

فأراد ﷺ من وراء هذا الكلام النفيس والثمين أن يوقف القوم على الأدلة الواضحة التي تجعل من نفوسهم سرعة الاستجابة إليها، لاسيما وأنه عرف طريقهم الذي يسيرون عليه ومنهجهم الذي يتمسكون به، فعن طاوس عن ابن عباس ﷺ: أنه ذكر ما يلقي الخوارج عند قراءة القرآن، فقال: يؤمنون عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه»[(٢)].

فلما وقف على حقيقة أمرهم دخل إليهم من خلالها تسهيلًا عليهم كي يفهموا الأدلة على وجهها الملائم وعدم الاعتراض عليها أو الإنكار لها، وأراد ﷺ في الوقت

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الإمام جلال الدين السيوطي، جـ ٢، صـ ٥٢٧.

(٢) المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي، ت ٢٣٥ هـ، صـ ٥٥٦، أثر رقم (٣٧٩٠٢)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، سنة ١٤٠٩ هـ.

ذاته أن يتره نفسه عن الخوض في المتشابهات لنهي رسول الله ﷺ عن ذلك، وحذر ممن يتخذ المتشابه منهجًا له، وذلك كما ورد في صحيح الإمام البخاري من حديث عائشة ﷺ قالت: «تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾[1]. قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ»[2].

ولما كان اتباع المتشابه من علامات الزيغ والذي تتره عنه ابن عباسٍ ﷺ كان من دعاء المؤمنين عقب هذه الآية السابقة أن يقيهم الله تعالى زيغ القلوب بعد هدايتها فقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾[3].

هذا فيما يتعلق بآي الذكر الحكيم . وأما قوله ﷺ عن الاستدلال بصحيح السنة: «وإذا حدثتكم من سنة نبيه ﷺ ما لا تشكون، أترجعون؟ قالوا: نعم». فعدم الشك هنا يُحمل على ذكره المحكم دون غيره، ويحتمل ذكر الصحيح المتفق عليه بين الطرفين، وكليهما مرادٌ وصحيح، ويُستقى في ضوء ذلك: تجنب الأحاديث والآثار الواهية والموضوعة كي لا يحدث التنازع في مسألة إثباتها أو نفيها، وهذا من فنيَّاته ﷺ في باب المناظرات وفقهه الرشيد ونظره السديد ، حيث أراد حسم الكلام أثناء المناظرة

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ٧.

(٢) كتاب التفسير، باب «منه آياتٌ محكمات»، جـ ٣، صـ ١٩٧، حديث رقم (٤٥٤٧)، ورواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن، صـ ١٣٨٩، حديث رقم (٢٦٦٥).

(٣) سورة آل عمران، الآية رقم: ٨.

مع الحرورية، بحيث لا يُبقِي لهم حجة، ولا يترك لهم علة.

وعلى الداعية الفطِن أنه إذا أراد أن يناظر قومًا أن يسلك مسلك ابن عباسٍ رضي الله عنهما في ذكر المحكم من القرآن الحكيم، والصحيح من السنة النبوية على صاحبها أفضل صلاةٍ وسلام؛ لأن ذكر المحكم من القرآن والسنة لا يسع المخالف إلا التسليم له إذا أراد الوصول للحق واتباع الهدى.

أما عن الإفادات الدعوية فتكون على النحو التالى :

– أن الداعية كلما كان على علمٍ بطبيعة مَنْ يناظره وخبرةٍ بطريقة تفكيره سهل الوصول إليه، كما صنع ابن عباسٍ رضي الله عنهما في هذه المناظرة، حيث علم أن الحرورية يؤمنون بالمحكم ويهلكون عند المتشابه فاستخدم الدواء الناجع لهم.

– أن المحكم من الأدلة لا خلاف عليه بين طرفي المناظرة، وهذا بطبيعته سبيل الإقناع، ولذلك عندما استند عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما إلى المحكم فقط كانت النتيجة مثمرة.

– أن الردود العلمية وحدها لا تكفي حال المناظرة، بل يُضم إلى ذلك فنيِّة إدارة المناظرة وفقه سيرها، والعلم بما يصلحها وبما يجعلها تسير في طريق مستقيم للخروج بنتيجة سليمة، وهذا ما صنعه ابن عباسٍ رضي الله عنهما، حيث تمكَّن بفنِّ دعوته وحكمة إدارته وأسلوب مناظرته الفريد من جعْلِ الكثير من الحرورية يتنازل عن معتقداته الخاطئة وشبهاته الواهية والعدول عن ذلك إلى الحق والصواب، وبذلك تم اجتماع الصف المسلم وتوحده بفضل فقه عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما لإدارة المناظرة.

– أن اكتفاء الداعية بصحيح السنة النبوية حال الاستدلال يجعل الطرف الآخر في المناظرة موضع إنصاتٍ وتفكير في الرجوع إلى الحق لا الهجوم على الداعية وإنكار

المرويات، وما ذكره ابن عباسٍ رضي الله عنهما في هذه المناظرة لخير دليل على صحة ذلك، حيث قال لهم: «وإذا حدثتكم من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما لا تشكون، أترجعون؟ قالوا: نعم»[1].

– أن الداعية لا يكتفي بالأساليب الفنية حال المناظرة بل يأخذ العهد على المخالف أن يرجع إلى الحق إذا أُقيمت عليه الحجة وفَهِم المحجة، وذلك كما ورد في قول ابن عباسٍ رضي الله عنهما للحرورية: أترجعون؟ قالوا: نعم. وذلك حتى إذا انتهت المناظرة لا يبقَ منهم إلا التسليم والقبول.

* إذا تقرر الأخذ بالمحكم وتجنب المتشابه والضعيف، فماذا عن تقرير المخالف عقب كل إجابة؟ هذا ما سيتم الكشف عنه في ضوء المبحث التالي...

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الإمام السيوطي، جـ ٢، صـ ٥٢٧.

المبحث الرابع

تقرير المدعو بظهور الصواب.

مما هو معلوم أن الداعية الحصيف ينظر بعين الاهتمام إلى شبهات المخالف حال المناظرة ويرد عليها من جميع زواياها ولا يُبقي للشبهة طرفًا يتمسك به المناظِر، ولا يستهين بالشبهة لوهَنها أو لخفة عقل قائلها، فقد يكون الرد الجيِّد هو الخلاص للمخالف مما وقع فيه، لكن إذا انتهى الداعية من الإجابة على كل سؤال أو شبهة فالأصل أن يعمد إلى تقرير المخالف بصحة إجابته واقتناعه بها، حتى إذا انتهت المناظرة لا يعود المخالف إلى الوراء أو النكص على عقبيه أو أن يركب رأسه ويعاند ، وهذا من فنيات المناظرة الهادفة، وهو ما صنعه ابن عباس ﷺ مع الحرورية، فقد أجاب عن ثلاث شُبَهٍ، وعقب انتهائه من الإجابة على كل شبهة كان يقول لهم: «أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم»[(١)].

ولم يكتفِ ﷺ بإيراد ذلك مرةً واحدة حال المناظرة، بل عمد إلى تكرار ذلك، وهذا يدل الداعية على أهمية تقرير المخالف عقب كل إجابة، فإذا انتهت المناظرة لم يبقَ له إلا التسليم والإذعان.

أما إذا ترك الداعية الحبل على الغارب، ولم يعمل على تقرير المخالف عن كل إجابة، فإن المناظرة لن تخرج بنتيجة محددة وهادفة؛ لأن المناظَر في نهاية المطاف قد يعلن أنه لم يقتنع بهذه الإجابة، وأن الشُّبه محل الدراسة والنظر، وهذا بلا شك يضيع على الداعية جهده ونَصَبه، فتنتهي المناظرة وكأنها لم تبدأ، وهذا الأمر فطن له ابن عباسٍ ﷺ حيث ألزم الحرورية بالاعتراف والإقرار بصحة إجابته عقب رده على كل شبهة.

وهذا الفقه الذي قام به ابن عباسٍ ﷺ يستفاد منه ما يلي:

– أن تقرير المخالف عقب كل إجابة بصحتها واقتناعه بها يفتح للداعية بابًا

(١) السنن الكبرى، الإمام البيهقي، جـ ٨، صـ ٣٠٩، ومسند الإمام أحمد، جـ ٢، صـ ٨٤.

جديدًا من النشاط والهمة العالية للرد على سائر الشبهات، وبذلك تنتهي المناظرة وحضور الذهن متوفر لدى الداعية لآخر لحظة منها.

– لو أعلن المخالف أثناء تقريره بصحة الإجابة فلله الحمد، وإن لم يرضَ بها فلا زال عقل الداعية حاضرًا لهذه الشبهة فيستطيع أن يرد عليها من خلال زاوية أخرى أو يتذكر دليلًا أصح وأقرب من الأول، أو أنه اقتنع بالرد غير أن الفكرة لم تكتمل في رأسه ولم تختمر في وعيه، فيعمل الداعية على مزيدٍ من الإيضاح والبيان لما التبس عليه فيه، وبهذا تصبح المناظرة هادفة وثرية وثمينة.

– أن المناظَر عندما يرفض الإذعان للحق من أول وهلة عند تقرير الداعية له فمن حق الداعية إنهاء المناظرة لأجل تعنت المدعو، وبهذه الصورة يصبح المتسبب في إلغائها هو المناظَر لا الداعية، حتى إذا أشيع في الأوساط الدعوية أن الداعية لا يصمد أمام المناظرات وليس مؤهلًا لها، فمن حق الداعية بيان سبب الإنهاء وهو التعنت، وبهذا يحفظ الداعية كرامته وعزته، وفي الوقت نفسه حفظ العلم حيث لم يضعه في غير أهله، وابن عباس رضي الله عنهما لما وافقه الحرورية على قبول الحق من أول وهلة سار في مناظرتهم، أما لو لم يوافقوه على قبول الحق فغالب الظن أنه كان سيعمد إلى الانصراف عنهم، لكن لما قالوا له: نرجع ونرضى، بدأ في مناظرته ووُفِّق فيها توفيقًا عظيمًا.

إذا تقرر هذا، فماذا عن موقف الداعية تجاه المشغبين عليه حال المناظرة ؟ هذا ما سيدور الحديث عنه في ضوء المبحث التالي والأخير من هذا الفصل...

المبحث الخامس
الإعراض عن المشوشين

مما لا شك فيه أن الداعية الذي يأخذ بأيدي المدعوين إلى الطريق القويم والمنهج المستقيم والطريق المستنير يشغب عليه أهل الجهل وقليلو العلم والفطنة كي يشككوا الناس فيه من حيث شخصه وأمانته، ومن حيث دعوته وفكره، غير أن الداعية صاحب البصيرة يفوِّت الفرصة عليه ويُعرض عنه؛ لأن الشخص إذا كان همه التشويش فعلاجه الإعراض عنه وعدم الاهتمام به، وهذا ما صنعه ابن عباس رضي الله عنهما تجاه ابن الكواء[١] حيث قال عبد الله بن شداد: «حتى إذا توسطنا عسكرهم قام ابن الكواء يخطب الناس، فقال: يا حملة القرآن إن هذا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه من كتاب الله ما يعرفه به هذا ممن نزل فيه وفي قومه: ﴿ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾[٢] فردوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله»[٣].

فلم يثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه انشغل به أو ردَّ عليه، بل أهمله وأعرض عنه، وأقبل على خطباء القوم يناظرهم، وإن ما صنعه ابن عباس تجاه ابن الكواء ما هو إلا امتثال لقول الله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[٤]، وهذا

---

(١) أحد الحرورية الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وفي نهاية المطاف وبعد مناظرة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لهم كان من ضمن مَنْ رجعوا عن غيِّهم إلى الحق والصواب. وهو عبد الله ابن الكواء من بني يشكر، وله أخبارٌ كثيرة مع علي رضي الله عنه. ينظر: لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر، جـ ٣، صـ ٣٢٩، المحقق: دائرة المعارف النظامية – الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان، ط ٢، سنة ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧١ م.

(٢) سورة الزخرف، جزء من آية رقم (٥٨).

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، جـ ٢، صـ ٨٤.

(٤) سورة الأعراف، الآية رقم (١٩٩).

الأمر كما يقول الإمام ابن عطية رحمه الله: «حكم مترتب محكم مستمر في الناس ما بقوا»[(١)]. فهذه الآية محكمة وليست منسوخة، ومعناها: «الإعراض عن الجاهلين، وهم السفهاء بترك معاشرتهم وعدم مماراتهم، ولا علاج أوقى لأذاهم من الإعراض عنهم»[(٢)].

«وإنما يجب الإعراض عن السفهاء؛ لأنهم لا يطلبون الحق إذا فقدوه، ولا يأخذون فيما يخالف أهواءهم إذا وجدوه، ولا يرعون عهدًا، ولا يحفظون ودًا، ولا يشكرون من النعمة إلا ما اتصل مدده، فإذا انقطع عاد الشكر كفرًا، واستحال المدح ذمًا»[(٣)].

ومن الجهالة التي وقع فيها ابن الكواء وكانت سببًا في إعراض ابن عباس رضي الله عنهما عنه أنه أسقط آياتٍ من القرآن الكريم نزلت في المشركين فجعلها في المؤمنين، كما قال ابن عمر رضي الله عنهما في وصفه للحرورية: «إنهم انطلقوا إلى آياتٍ نزلت في الكافرين فجعلوها في المؤمنين»[(٤)].

فأعرض عنه ابن عباسٍ رضي الله عنهما ليتحدث مع خطباء الحرورية وفطنائهم، فقد حرص رضي الله عنه على ألا يعكر صفو المناظرة بالرد على ابن الكواء، وهذا ينبه الداعية على ألا يثنيه أحد عن مهمته الأساس، وأن يعتبر هذا التشويش من جملة الابتلاء الذي أُمر بالصبر عليه، كما قال تعالى في ذكر وصية لقمان لولده: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، ت ٥٤٢ هـ، جـ ٢، صـ ٤٩١، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١ سنة ١٤٢٢ هـ.

(٢) تفسير المنار، الشيخ محمد رشيد رضا، جـ ٩، صـ ٤٤٨.

(٣) المصدر السابق، جـ ٩، صـ ٤٤٨.

(٤) رواه الإمام البخاري في صحيحه معلقًا، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، جـ ٤، صـ ٣٢٩.

بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾[1]. وبإعراض الداعية عن الجاهلين يدخل في عداد عباد الرحمن الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾[2].

وإن مقالة ابن الكواء هذه لم تؤثر على مزاج ابن عباس رضي الله عنهما فلم يتعامل مع سائرهم أثناء المناظرة بأسلوب غليظ أو كلماتٍ منفرة أو ألفاظ قاسية، ولم يرمِهم بالسفه والعته، وإنما تعامل باللطف والرفق؛ لأن الرفق يأتي بالخير الكثير والأجر الجزيل، فروى الإمام البخاري في صحيحه أنه: «دَخَلَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ. قَالَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: فَقَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ»[3].

فإذا كانت الشريعة الإسلامية قد أمرت بالرفق مع اليهود، فإنه مع المخالفين من أهل القبلة من باب أولى ، وهذا ما صنعه ابن عباس رضي الله عنهما مع الحرورية، فمن أول المناظرة إلى آخرها لم يخرج من فم ابن عباس ما ينفِّر القوم لأجل صنيع ابن الكواء، بل ترفق بهم، وهذا من خبرته الدعوية في إدارة المناظرة.

هذا، ولو انشغل ابن عباس رضي الله عنهما بالرد على المشوشين لما استطاع أن يناظر سائرهم لأنه ربما تألب عليه الجميع ، فتضيع فرصة اجتماعهم والتي قد لا تتكرر، لكن بفضل إعراضه عن الجاهلين استمع إليه الجميع حال المناظرة، فتاب منهم الكثير، وكان من بين التائبين ابن الكواء، كما أخرج الإمام أحمد في مسنده، قال: «فرجع منهم أربعة

(١) سورة لقمان، الآية رقم (١٧).

(٢) سورة الفرقان، الآية رقم (٦٣).

(٣) جزء من حديث، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، جـ ٤، صـ ١٣١، حديث رقم (٦٠٢٤).

آلاف كلهم تائب فيهم ابن الكواء»[1].

فكان الإعراض عن ابن الكواء يصب في مصلحته؛ لأنه لما رأى حسن صنيع ابن عباس رضي الله عنهما وعدم رده عليه استمعَ سماعَ الطالب للحق فوُفق إليه، وعلى هذا فالداعية لا ييأس من رجوع المخالفين حتى ولو كانوا من أشد المشغبين عليه.

وبانتهاء هذا المبحث والذي به يُختتم الفصل الثاني من هذه الدراسة يتوجه الباحث إلى الفصل الثالث والأخير والذي هو بعنوان: فقه الإقناع حال المناظرة.

(١) جزء ٢، صـ ٨٤.

الفصل الثالث

فقه الإقناع حال المناظرة

ويتكون من مبحثين

- **المبحث الأول: حسن الاستشهاد.**
- **المبحث الثاني: قوة الاستنباط وحسن العرض.**

مدخل:

إذا كانت المناظرة تتطلب فنًا في إدارتها، وذكاء في سيرها حتى تؤتي ثمارها المرجوة، وفائدتها المرتقبة فإنها في الوقت ذاته تتطلب عمقًا في الفهم، ووعيًا للأحداث وحسنًا للعرض، وهذا يدل على أن المناظرات ليست في وسع كل أحد، ولا في مقدور كل داعية، فهي تحتاج لداعية صاحب رسالة سامية وهمة عالية من ناحيتي التحصيل والفهم، وقد تمثل هذا في صاحب رسول الله ﷺ وابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حال مناظرته للحرورية، فقد أفاد الدعاة إفادة عظيمة في إقناع المدعو المناظَر وطريقة العرض التي تصل إلى قلبه قبل أن تتلقاها أذنه.

وفي هذا الفصل أعتني بالحديث عن فقه الإقناع العلمي حال المناظرة، فإلى المبحث الأول منه وهو بعنوان: حسن الاستشهاد...

المبحث الأول
حُسن الاستشهاد

من الأمور المسلم بها في مجال المناظرات الدعوية تبحُّرالداعية في أبعاد الموضوع المطروح للمناظرة وسعة الثقافة التي تخدمه من كل جانب ليقف على كل جزئية موقف المحقق المنقِح ليخرج بنتيجة علمية وفق أدلة لا تقبل تأويلًا أو ردًا من الطرف الآخر، فالخصم قد يكون بحاجةٍ ماسة إلى رفع الغبار عن فهمه المغلوط ليطلع على الحقيقة كي يصل إلى الصواب، ومن أمثلة ذلك : ما صنعه ابن عباسٍ ﷺ تجاه الحرورية حينما ذكروا ضمن شبهاتهم أن عليَّ بن أبي طالب ﷺ «محا اسمه من أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين»(١).

فوجدوا أنفسهم أمامهم داعية متبحرٍ في إيجاد الحل والجواب من أقرب طريق؛ لأنه صاحب همة عالية وشأن كبير في دراسة جميع زوايا الموضوع محل المناظرة، وهذا الحل كان في ضوء سيرة رسول الله ﷺ يوم صلح الحديبية، حيث قال ﷺ: «وأما قولكم: محا نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما ترضون، أُرِيكُم _ أظنكم_قد سمعتم أن النبي ﷺ يوم الحديبية كاتب المشركين سهيل بن عمرو وأبا سفيان بن حرب فقال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين: اكتب يا علي: هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله، فقال المشركون: لا

---

(١) السنن الكبرى للإمام البيهقي، جـ ٨، صـ ٣٠٩.

أي يوم التحكيم بين علي بن أبي طالب ومعاوية ﷺ يوم صفِّين، وكان النائب عن علي ﷺ هو أبو موسى الأشعري ﷺ، وكان النائب عن معاوية ﷺ هو عمرو بن العاص ﷺ، وكان من ضمن ما جاء في هذا التحكيم: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، فقال عمرو بن العاص ﷺ: اكتب اسمه واسم أبيه، هو أميركم وليس بأميرنا، فقال الأحنف: لا تكتب إلا أمير المؤمنين، فقال علي: امحُ أمير المؤمنين واكتب: هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب». ينظر: البداية والنهاية للحافظ ابن كثير رحمه الله، جـ ٢، صـ ٢٧٥ - ٢٧٦.

والله ما نعلم أنك رسول الله، لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله ﷺ: اللهم إنك تعلم أني رسولك، اكتُب يا علي[١]: هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله، فوالله لرسول الله ﷺ خيرٌ من علي، وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه»[٢].

فمثل هذا الرد المفيد والوجيز ليدل على سعة علم ابن عباسٍ ﷺ وتبحره في دراسة السيرة النبوية، حتى إنه قد خرج منها بمثال مضاءٍ وموقف مشابه لموقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وهذا من فطنة ابن عباس ﷺ، حيث إنه لو جاء بمثال غير هذا من السيرة النبوية لاعترضوا عليه وعمدوا إلى رده بحجة أنه قياس مع الفارقٍ مثلًا، أو أن الظرف الذي صنع فيه الرسول الكريم ﷺ موقفه ليس كظرف أمير المؤمنين علي، فأراد ابن عباس أن يقطع عليهم الطرق من كل جانب ليلزمهم بقبول الحجة، فاستند إلى موقف يشابه موقف علي ﷺ، وأن سيرة النبي ﷺ هي المعوَّل عليها في التطبيق العملي لفهم دين الإسلام فهمًا صحيحًا، كما قال سفيان بن عيينة ﷺ: «إن رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر، فعليه تُعرض الأشياء، على خُلُقه وسيرته وهديه، فما وافقها فهو الحق، وما خالفها فهو الباطل»[٣].

ولهذا جاء ابن عباس ﷺ بشاهدٍ نبوي في ضوء سيرة الرسول الكريم ﷺ ليكون ميزانًا في ضبط الأمور حال مناظرته للحرورية. ولأهمية التبحر في إتيان الشواهد

---

(١) أصل القصة رواها الإمام البخاري ▼ في صحيحه، كتاب الصلح، باب كيف يُكتب: هذا ما صالح فلان بن فلان، فلان ابن فلان وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه، جـ ٢، صـ ١٧٠، حديث رقم ٢٦٩٨، ورواها الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب صلح الحديبية في الحديبية، صـ ٩٥٣ - ٩٥٤، حديث رقم ١٧٨٣.

(٢) مسند الإمام أحمد، جـ ٢، صـ ٨٤.

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن مهدي الخطيب البغدادي، ت ٤٦٣ هـ، جـ ١، صـ ٧٩، المحقق: د/ محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض.

النبوية حالا الاستدلال كان السلف الصالح يعلِّمون أولادهم السيرة النبوية كما يعلمونهم القرآن الكريم، فروى الإمام الخطيب البغدادي عن علي بن الحسين ﷺ أنه قال: «كنا نُعلَّم مغازي النبي ﷺ كما نُعلَّم السورة من القرآن»(١).

وعلى هذا فالداعية يراعي الموضوع القائم للمناظرة ويدرسه من جميع جوانبه ويدلل عليه بما يرضى به الخصم ويسلم له؛ لأن الاستدلال بالسيرة النبوية كما أنها الميزان فهي الأقوى في الحجة والأبلغ في الإقناع. ويُلاحظ أن من حكمة ابن عباس ﷺ أنه أتى بمثال وشاهدٍ حضره علي بن أبي طالب ﷺ ليُعلم القوم أن صنيع علي ﷺ حال التحكيم ليس من هوى نفسه أو إملاء غيره، وإنما له سلف في ذلك، وهو رسول الله ﷺ يوم الحديبية، فيكون حجة عليهم لا مناص من قبولها ولا محيد لإنكارها، لا سيما وأن موقف يوم الحديبية اجتمع فيه فعل رسول الله ﷺ وكتب الصلح أحد الخلفاء – أي بعد ذلك – فتكون الطاعة للحرورية في هذا الموقف أبلغ وأكثر إلزامًا لهم، فقال ﷺ: «فإنه مَنْ يَعِشْ منكم يرى اختلافًا كثيرًا، وإياكم ومحدَثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضُّوا عليها بالنواجذ»(٢).

فلو أن علي بن أبي طالب ﷺ اجتهد فيما وصل إليه حال التحكيم دون استناد إلى دليل يقوي موقفه وينصر رأيه وجب أيضًا على الحرورية الاقتداء به لأمر رسول الله ﷺ بذلك، وهذا يدل على سعة علم ابن عباسٍ ﷺ وثقافته الكبيرة وفقهه العظيم حين استدل بهذا الحدث حال مناظرته للحرورية.

---

(١) المصدر السابق، جـ ٢، صـ ١٩٥.

(٢) رواه الإمام الترمذي في سننه، أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، جـ ٤، صـ ٣٤١، حديث رقم (٢٦٧٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وأما عن الإفادات الدعوية في سياق حسن الاستشهاد فتكون على النحو التالي:

_ الإتيان بالأدلة التي يتفق عليها الطرفان حال المناظرة تعمل على تقوية موقف الداعية، وتعين على المساعدة في الأخذ بيد المدعو المناظَر إلى ميدان القبول والاستجابة، وهو يقصِّر الطريق ويوفِّر الوقت على الطرفين، فلا تضيع المناظرة في إثبات صحة الشواهد والأدلة، بل يتخطى الأمر إلى النظر في استخراج أوجه الدلالة.

– حسن استشهاد الداعية لن يكون له الباع الطويل فيه إلا بعد مطالعة أمهات الكتب العلمية المتعلقة بالعلوم الشرعية خاصة السيرة النبوية وأحداثها العطرة على أيدي العلماء المعتبرين كي يُوقفوا المناظَر على تمييز الغث من السمين، كما صنع ابن عباسٍ رضي الله عنهما، فقد تلقى العلم عن كبار الصحابة لا سيما زيد بن ثابت رضي الله عنه، «فقد كان ابن عباسٍ يأتيه إلى بيته للعلم ويقول: العلم يُؤتى ولا يأتي»[1]، فحُسن استشهاده رضي الله عنهما وقدرته على مناظرة المخالفين لا سيما الحرورية لم يأتِ من فراغ، بل بعد بذل وسع واستفراغ طاقة في الوصول إلى ذلك على أيدي العلماء المختصين.

– تقديم ما حقه التقديم: إن المتأمل لمناظرة ابن عباسٍ رضي الله عنهما يرى أن رده على شبهات الحرورية تتمثل في الاستدلال بالقرآن الكريم كما في الشبهتين الأوليين، وذكر استدلالًا من السنة النبوية المشرفة كما في الشبهة الثالثة ، فوضع الاستدلال في موضعه، وهذا ينبه الداعية على أنه إذا أراد الإجابة على شبهاتٍ حال مناظرة علمية أن يبدأ بكتاب الله تعالى أولًا، فإن لم يجد فليبحث في سنة رسول الله ﷺ، فإن لم يجد فلينظر هل هناك إجماع في المسألة المطروحة أو لا، فإن وجد فبها ونعمت، وإن لم يجد فليعمل على استخدام القياس وسائر الأدلة المتعلقة بهذا الشأن، هذا في حال مناظرة المسلم، كما في

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، مصدر سابق، جـ ١، صـ ٢٣٨.

مناظرة ابن عباسٍ ﷺ للحرورية . أما إذا كانت المناظرة مع غير المسلم فإنه يبدأ بالرد عليه من خلال الأجوبة العقلية والأقيسة المنطقية، ثم ذكْر كلام العلماء المنصفين من أهل ملته، ثم ذكر ما يوافق ذلك في ضوء العلم الحديث لا سيما إذا كان ذلك على أيدي علماء أهل دينه، ثم الاستدلال بالقرآن قطعي الدلالة ثم السنة الصحيحة في نهاية المطاف، لأن الأصل في الداعية أن يراعي حال ودين مَنْ يناظر، وعلى هذا الأساس يبني مناظرته وفق ما يحتاجه، وبهذا يصير الداعية حكيمًا، لوضع كل شيء في موضعه، ودعا إلى ربه على بصيرة كما قال الله لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي...﴾[1]، فليقدِّم الداعية الفقيه ما حقه التقديم، وليؤخر ما حقه التأخير مراعاة لظروف المدعو حال المناظرة.

إذا تقرر هذا، فإن الداعية لا يكتفي بإيراد الأدلة وسوقها في المناظرة، بل يضم إلى ذلك قوة الاستنباط وحسن العرض لهذه الأدلة، وهو ما يدور الحديث عنه في ضوء المبحث التالي...

---

[1] سورة يوسف، جزء من آية رقم (١٠٨).

المبحث الثاني
قوة الاستنباط وحسن العرض

مما هو معلوم أن المناظرة تكون بين طرفين، وأن كل طرفٍ منهما يعمل على إقناع الآخر بما يراه ويعتقده، وهنا تظهر قوة الداعية العلمية بما يملكه من أدوات الاجتهاد وطرق الاستنباط للعمل على تفهيم الطرف الآخر والوصول إلى عقله وقلبه من أيسر طريق وأقرب باب، وهذا لا يحتاج إلى حفظ الأدلة الشرعية من مصادرها المعتمدة فحسب، فالطرف الآخر قد يكون أقوى ذاكرة في حفظ نصوص القرآن والسنة، لكن الداعية يسبقه بمراحل في الفهم لهذه النصوص، والتنزيل لهذه الأدلة، وهذا ما قام به ابن عباسٍ رضي الله عنهما حيث إنه أبهر الحرورية بقوة استنباطه وشدة تفهمه لنصوص الشرع الحكيم، وظهر ذلك جليًا في إجابته ورده على شبهتهم الأولى عندما قالوا له: «إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه حكَّم الرجال في أمر الله، وقد قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾ [(١)] وما للرجال وما للحكم»[(٢)].

فهم قد حفظوا الآيات غير أنهم يحتاجون إلى مَنْ يُبصِّرهم بحقيقة الأمور ووضع الأدلة في موضعها الصحيح، فكان ذلك هو دور ابن عباسٍ رضي الله عنهما حيث لفت انتباههم إلى أهمية فهم النصوص وتجنب الاستنباط السطحي الذي لا يُسعف صاحبه ، فأجاب بقوله: «أما قولكم حكَّم الرجال في أمر الله فأنا أقرأ عليكم ما قد ردَّ حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم في أرنب ونحوها من الصيد فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ [(٣)] فنشدتكم الله: أحكم

---

(١) جزء آية من سورة الأنعام رقم (٥٧)، وجزء آية من سورة يوسف آية رقم (٤٠).

(٢) السنن الكبرى، الإمام البيهقي،جـ ٨، صـ ٣٠٩، ومسند الإمام أحمد، جـ ٢، صـ ٨٤.

(٣) جزء آية من سورة المائدة رقم (٩٥).

الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم وإصلاح ذات بينهم، وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يُصير ذلك إلى الرجال»[(١)].

ففي هذا الرد الوجيه يستنبط منه الداعية ما يلي:

– أن حفظ الدليل فقط والقدرة على استذكاره في مثل هذه المواقف لا يكفي، بل يُضم إليه الفقه لهذا الدليل، وهنا يحصل الداعية على الخيرية المرادة في قول النبي ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهْه في الدين»[(٢)]، وأن المتقن للحفظ فقط لا يضاهي مَنْ جمع بين الحفظ والفهم، ويشير الإمام العيني لهذا المعنى فيقول: «الحافظ لا يبلغ درجة الفَهِم، وإنما يُقال للحافظ: عالم بالنص لا بالمعنى»[(٣)].

فقد قام ابن عباسٍ رضي الله عنهما باستعمال الأقيسة واستدل على صحة تحكيم الرجال بالأدنى – ثمن ربع درهم في أرنب من الصيد – على جواز التحكيم في الأعلى من باب أولى وهو حقن دماء المسلمين والإصلاح بينهم، وهذا من فصل خطابه رضي الله عنه وأن الله قد آتاه الحكمة ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[(٤)].

وكذلك تمكَّن رضي الله عنهما من تفهيم القوم بأسلوب واضح ووجيز، فإن الداعية قد تكون فكرة الرد في رأسه غير أن أسلوب الإقناع قد يكون مفتقدًا لديه فلا يستطيع إيصال المعلومة على أحسن وجهٍ وأكمل رد، بخلاف ابن عباسٍ رضي الله عنهما فإنه جمع بين حفظ

---

(١) السنن الكبرى، الإمام البيهقي، جـ ٨، صـ ٣٠٩.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب مَنْ يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، جـ ١، صـ ٢٨، حديث رقم (٧١)، ورواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، ٤٩٤، حيث رقم (١٠٣٧).

(٣) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، جـ ٤، صـ ٣٦١.

(٤) جزء آية من سورة البقرة رقم ٢٦٩.

النص وفقهه وبين حسن عرض المعلومة على الطرف الآخر حال المناظرة وهذا يأتي عن طريق الإخلاص والتحصيل الكثير وحضور مجالس العلم وكثرة نصح الآخرين وإرشادهم، وعلى هذا المنوال ينبغي أن ينسج الداعية حياته العلمية وفق صنيع ابن عباسٍ رضي الله عنهما، وكذلك قد يُعطي الداعية الرد لكن لا يزال هناك لبسٌ على عقل المستمع وإشكال في القضية المطروحة للمناظرة، بخلاف ابن عباس فإنه تتره عن ذلك فلم يترك داعيًا من دواعي الغموض إلا وأزاله، ولم يرَ إشكالًا إلا وأزاحه.

فقوة استنباط الداعية في استخراج أوجه الدلالة من الأدلة يعمل على إرجاع الخصم الطالب للحق، ويعمل على إسكات المكابر المعاند؛ لأن الحجة إذا كانت قوية فلا مناص عن قبولها والاعتراف بها، وفي هذا ردٌ قويٌ على المنتسبين إلى المدرسة النصية دون إعمال عقولهم وأفكارهم، وأن تمسكهم بالنص وظاهره فحسب أتى بالويلات على الفكر الإسلامي ، وإذا كانوا هم غيورين على قداسة النصوص فابن عباسٍ رضي الله عنهما أغير منهم على الحفاظ على هذه النصوص، ومع ذلك استخدم الأمور المنطقية والحِجج العقلية في إرجاع المخالفين كالحرورية نحو الجادة والصواب، فليكن الداعية واسع الأفق، عميق النظر حال الفهم في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنه رسوله ﷺ، وأن السطحية العلمية لا تؤهل صاحبها لخوض المناظرات التي تحوي الشبهات والتي تتطلب ردودًا وأجوبة يُنظر إليها بعين الاعتبار.

ومع إحراز هذه النتائج التي قام بها ابن عباسٍ رضي الله عنهما مع الحرورية لم يكتفِ بإيراد مثالٍ واحد، بل عمد إلى الاستدلال على صحة قوله وصدق مقالته بمثال آخر وهو قوله رضي الله عنهما: «وفي المرأة وزوجها قال الله عز وجل: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ

كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾[١]، **فجعل الله حكم الرجال سنةً ماضية»**[٢].

فمع أن الاستدلال الأول كان كافيًا ومقنعًا للحرورية إلا أنه رضي الله عنه عضَّد المثال الأول بمثال آخر ليكون أثبت في الذهن، وأبلغ في الحجة، وهذا يدل على سعة اطلاعه وغوصه في درر معاني القرآن، بخلاف مَنْ يعلِّمون طلابهم الحرص على حفظ الكم الهائل من النصوص الشرعية دون النظر إلى الاهتمام بالكفاءة العقلية، والحجة المنطقية، وخير الأمور أوساطها، فالعمل على الجمع بين حفظ النص وفقهه، مراعاة لمستجدات العصر الذي يعيش فيه الداعية، فمناظرته تحتاج إلى هذا كما يحتاج الطائر إلى جناحين، وبفقد أحدهما يفقد القدرة على التحليق في السماء، فالداعية قد يحمل كمًا كبيرًا من النصوص الشرعية ولا يُعد فقيهًا مؤهلًا لخوض المناظرات، كما قال عليه الصلاة والسلام: «رب حامل فقهٍ ليس بفقيه»[٣].

هذا وقد ظهرت قوة استنباطه وحسن عرضه رضي الله عنهما في الإجابة على الشبهة الثانية المتعلقة بموقعة الجمل[٤]**، حين قال له الحرورية عن تصرف أمير المؤمنين تجاه عائشة رضي الله عنها: «فإنه قاتل ولم يسبِ ولم يغنمْ، فلئن كان الذين قاتل كفارًا لقد حل سبيهم**

---

(١) سورة النساء، الآية رقم ٣٦.

(٢) مسند الإمام أحمد، جـ ٢، صـ ٨٤.

(٣) جزء من حديث رواه الإمام الترمذي في سننه، جـ ٤، صـ ٣٣٠، حديث رقم (٢٦٥٦)، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، وقال: حديث حسن.

(٤) كانت موقعة الجمل سنة ٣٦ هـ، الموافق ٦٥٦ م، وموقعة الجمل نسبة إلى الجمل الذي كان يحمل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ووقعة الجمل لم يكن بدايتها قتالًا، بل كان الأصل فيها تذكير أم المؤمنين بالصلح والتعاون على إقامته بين المسلمين، والسكوت عما شجر من قتالٍ بين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين آكد وأولى من الخوض فيه. ينظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، المؤلف: تقي الدين أحمد بن على المقريزي (ت: ٨٤٥ هـ)، جـ ١٣، صـ ٢٣١ - ٢٤٩، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى، ١٤٢٠/١٩٩٩.

وغنمهم، وإن كانوا مؤمنين ما حلَّ قتالهم»(١).

فكان رده رضي الله عنه وإجابته مبهرة لعقولهم مقنعة لنفوسهم، مع حسن عرض حديثه، فقال: «وَأَمَّا قَوْلُكُمْ قَاتَلَ فَلَمْ يَسْبِ وَلَمْ يَغْنَمْ أَتَسْبُونَ أُمَّكُمْ عَائِشَةَ ثُمَّ تَسْتَحِلُّونَ مِنْهَا مَا يُسْتَحَلُّ مِنْ غَيْرِهَا فَلَئِنْ فَعَلْتُمْ لَقَدْ كَفَرْتُمْ وَهِيَ أُمُّكُمْ وَلَئِنْ قُلْتُمْ لَيْسَتْ بِأُمِّنَا لَقَدْ كَفَرْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾(٢)، فَأَنْتُمْ تَدُورُونَ بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ أَيَّهُمَا صِرْتُمْ إِلَيْهَا صِرْتُمْ إِلَى ضَلَالَةٍ فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. قُلْتُ: أَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا : نَعَمْ»(٣).

وأما عن الإفادات الدعوية في هذا المقام فهي كالتالي:

– أنه رضي الله عنه بنى حكمه على دليل واضح صريح في الدلالة، وهو قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾(٤). ولذلك لما أصدر الحكم بالكفر على مَنْ يستحل من أم المؤمنين ما يُستحل من غيرها لم ينكروا عليه قوله ولم يعترضوا على حجته لأنها قطعية الثبوت والدلالة، وهذا يكون من قوة موقف الداعية: الاستدلال بالقطعي في الدلالة للعمل على اقتناع المخالف .

– أنه رضي الله عنه لم يُسيء إلى أحدٍ، فلم يُسيء إلى علي ولا إلى عائشة رضي الله عنهما، بل لم يسيء بالألفاظ أو الحركات إلى الحرورية، وهذا من حسن عرضه، ألا يبرئ ساحة أحدٍ بالوقوع في عِرض الآخر، بل عمد إلى احترام الجميع، فانظر أيها الداعية كيف أنه بحسن

(١) السنن الكبرى للإمام البيهقي، جـ ٨، صـ ٣٠٩.
(٢) جزء آية من سورة الأحزاب رقم ٦.
(٣) السنن الكبرى للإمام البيهقي، جـ ٨، صـ ٣٠٩.
(٤) جزء آية من سورة الأحزاب رقم ٥٣.

عرضه تقبل عدد كبير منهم الحجة، لأن الداعية قد يُرد قوله، لا لأجل ضعف حجته أو وهن استدلاله، بل لسوء عرضه وقبح تصرفه ولما نظر الحرورية بعضهم إلى بعض دل ذلك على وقوع إجابة ابن عباسٍ ﷺ من قلوبهم موقع القبول والإذعان، فقوة عرضه سحرت نفوس القوم، وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام لما جاء رجلان من المشرق فخطبا: «إن من البيان لسحرًا»[(١)].

فقوة العرض حال المناظرات الدعوية لا تقل أهمية عن قوة الاستنباط واستخراج أوجه الدلالة، لأن الاستنباط يحتاج بالضرورة إلى بيان، ويمكن الإلمام بهما إذا جمع الداعية في قراءته بين كتب التراث والكتب المعاصرة للعلماء المعتبرين الراسخين في العلم، حيث إن كتب التراث تعطيه الثقل العلمي الذي يؤهله لقوة الاستنباط، وكتب المعاصرين تعطيه القدرة على الحوار مع الآخر بأسلوب العصر، وبهذا يجمع بين الحسنيين.

– ضعف الحجة يقوي شبهة الخصم: إن الداعية إذا كان ضعيفًا من حيث ردوده العلمية فإن ذلك يقوي شبهة الخصم، بل يعمل على تثبيتها في عقول المستمعين، وهذا من الخطورة بمكان، حيث إن الأصل قوة الداعية في الرد، لأن الشبهة كلما كانت قوية كانت في حاجة إلى قوة عند ردِّها، كما في صنيع ابن عباسٍ ﷺ مع الحرورية، فينبغي أن يكون الداعية مصدر هداية لا فتنة.

إذن فهناك تلازم تام بين قوة الاستنباط وحسن العرض، فلو تميز في براعة الاستنباط فحسب فإنه لا يستطيع أن يؤثر في غيره، لأن هذا يحتاج إلى بيان وأسلوب حسن في العرض، وكذلك لو حصل على جودة الإلقاء دون قوة علمية صارت أفكاره هشة ومعلوماته مبتورة وأدلته متضاربة، وفي كلتا الحالتين لا يصلح من هذا صفته في المناظرات العلمية، بخلاف الداعية الجامع بين قوة الاستنباط وحسن العرض فإنه يذكر

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الخطبة، جـ ٣، صـ ٣٩١، حديث رقم (٥١٤٦).

المادة العلمية على وجهها ويعرضها في أبهى صورة، ومن ثم يقبل الخصم ويذعن، كما ظهر ذلك جليًا في صنيع ابن عباسٍ رضي الله عنهما مع الحرورية.

وبانتهاء هذا المبحث والذي به خُتم الفصل الثالث من هذه الدراسة، ينتهي البحث، وأتوجه إلى الخاتمة والتي جمعت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج، وكذلك توصيات الدراسة.

الخاتمــة

الخاتمة

بعد أن وفقني الله تعالى لاختيار عنوان هذا البحث وإنجاز دراسته توصلت إلى أهم النتائج والتوصيات المستقاة في ضوء هذا البحث.

أولاً: أهم النتائج:

من أهم نتائج بحث الدراسة ما يلي:

١ – ظهر أن التهيئة القلبية والظاهرية للمناظرات لها الأثر الكبير على نفسية المخالفين.

٢– اتضح أن دعاء النبي ﷺ لابن عباسٍ رضي الله عنهما بالفقه في الدين وحسن التأويل ظهر آثاره في كل حياته التعبدية والعلمية والدعوية لا سيما فقهه الوفير حال مناظرته للحرورية.

٣ – ظهر أن المناظرات الدعوية تقوم على فقه التعامل مع الخصم من حيث تعزيز سبل إنجاحها

٤ – بان أن حسن استشهاد الداعية للأدلة ينم عن وعيه الشديد واطلاعه الموسع لكتب التخصص الدعوية

٥ – بان أن المناظرات الدعوية إذا أريد لها النجاح فلتكن قوة الاستنباط من الأدلة سمة الداعية .

٦ – العمل على حسن العرض الذي يجذب القلوب والأبصار نحو ما يذكره الداعية ويعرضه.

٧ – الجمع بين متطلبات إنجاح المناظرات أولى من إهمال بعضها.

ثانيًا: التوصيات:

بعد أن انتهيت من عرض أهم نتائج الدراسة فإني أوصي بالآتي:

١ – أوصي بتتبع مناظرات علماء القرون الثلاثة المفضلة ودراستها دراسة تحليلية لإضافة جديد إلى المكتبة الدعوية التخصصية، ولمزيد بيان حال التطبيق العملي في ميدان الدعوة.

٢ – أوصي بتكوين لجنة علمية تشرف عليها جامعة الأزهر الشريف بإخراج موسوعة دعوية في أهم القضايا الفكرية على الساحة العصرية للعمل على نشر الوسطية ونبذ الأفكار الهدامة.

المراجع والمصادر

[١] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: نجله د/ أحمد طالب الإبراهيمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ط ١ سنة ١٩٩٧ م.

[٢] الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح، شمس الدين المقدسي ثم الصالحي الحنبلي، ت ٧٦٣ هـ، الناشر: عالم الكتب.

[٣] الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، (ت: ٤٦٣ هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، ط ١ سنة ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م.

[٤] أسد الغابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، عز الدين بن الأثير، ت: ٦٣٠ هـ، الناشر: دار الفكر – بيروت، عام النشر: ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م.

[٥] أصول الدعوة الإسلامية، أ. د/ أحمد أحمد غلوش، الناشر دار الرسالة، ط ١ – ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩ م.

[٦] إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، المؤلف: تقى الدين أحمد بن على المقريزي (ت: ٨٤٥ هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى ، ١٤٢٠/١٩٩٩.

[٧] البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ)، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦ م.

[٨] تاج العروس من جواهر القاموس، الإمام الزبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، بدون.

[٩] التطبيقات الدعوية: مفهومها، أقسامها، فوائدها، أمثلتها. د/ فاطمة بنت سعود

الكحيلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة طيبة، المدينة المنورة.

[١٠] تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد القلموني الحسيني ت ١٣٥٤ هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٠ م.

[١١] تكملة المعجم العربية، رينهارت بيتر آن دوزي ت ١٣٠٠هـ، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط١ – ١٩٧٩م.

[١٢] التنوير شرح الجامع الصغير، محمد بن إسماعيل بن صلاح الحسني الكحلاني، ثم الصنعاني، ت ١١٨٢ هـ، المحقق: د/ محمد إسحاق محمد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، ط ١ سنة ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١ م.

[١٣] التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد عبد الرؤف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ت ١٠٣١هـ، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت، القاهرة، ط ١– ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

[١٤] التوكل على الله وعلاقته بالأسباب، د/ عبد الله بن عمر الدميجي، الناشر: دار الهدي النبوي – مصر، دار الفضيلة، السعودية، ط ٣، ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١ م.

[١٥] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن مهدي الخطيب البغدادي، ت ٤٦٣ هـ، المحقق: د/ محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.

[١٦] الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الإمام جلال الدين السيوطي، ت: (٩١١ هـ)، تحقيق: مركز هجر للبحوث، الناشر : دار هجر – مصر، سنة النشر : [١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م].

[١٧] الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الإمام جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الفكر، بيروت.

[١٨] زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت ٥٩٧ هـ، المحقق: عبد الرازق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ.

[١٩] زبدة الحلب في تاريخ حلب، المؤلف: عمر بن أحمد بن هبة الله، كمال الدين ابن العديم ت ٦٦٠هـ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

[٢٠] سنن أبي داود، للإمام سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني، ت ٢٧٥ هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية – صيدا، بيروت.

[٢١] سنن الترمذي للإمام محمد بن عيسى بن سوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى الترمذي، ت ٢٧٩ هـ، المحقق: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط ٢ سنة ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م.

[٢٢] السنن الكبرى، الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٣ سنة ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م.

[٢٣] السنن الكبرى، الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي ت: ٣٠٣ هـ، حققه وخرَّج أحاديثه: حسن عبد المُنعم حسن شلبي، أشرف عليه: الشيخ/ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، سنة ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.

[٢٤] سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت ٧٤٨هـ، خرج أحاديثه وعلق عليه: محمد أيمن السراوي، دار الحديث: القاهرة، سنة الطبع ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

[٢٥] شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، ت ١٠٨٩ هـ، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: دار بن كثير، دمشق – بيروت، سنة ١٤٠٦هـ.

[٢٦] الصحيح الجامع المسند المختصر من سنن رسول الله ﷺ وأيامه، المشهور بصحيح البخاري، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي، ت ٢٥٦ هـ، دار المنار للنشر والتوزيع، بدون.

[٢٧] الصحيح الجامع، المشهور بصحيح مسلم، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ت ٢٦١هـ، دار ابن رجب، المنصورة، ط١ – ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢ م.

[٢٨] صحيح السيرة النبوية. المؤلف: إبراهيم بن حسين العلي الشبلي، ت ١٤٢٥ هـ، تقديم: د/ عمر سليمان الأشقر، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١ سنة ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م.

[٢٩] عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، الإمام بدر الدين أبي محمود بن أحمد العيني ت ٨٥٥ هـ، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب أهل السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١ سنة ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.

[٣٠] فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢ هـ، الناشر: دار مصر للطباعة، ط ١ سنة ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.

[٣١] القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، طـ ٨ - ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

[٣٢] كتاب السنة، للحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم ت ٢٨٧ هـ، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، سنة ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.

[٣٣] لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى.

[٣٤] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، ت ٨٠٧ هـ، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدس، القاهرة، عام النشر ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م.

[٣٥] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، ت ٥٤٢ هـ، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١ سنة ١٤٢٢ هـ.

[٣٦] المستدرك على الصحيحين للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، المعروف بابن البيع، ت: ٤٠٥ هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١ سنة ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠ م.

[٣٧] مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ت: ٢٤١ هـ، المحقق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين بإشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ١، سنة ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.

[٣٨] المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم

بن عثمان العبسي، ت ٢٣٥ هـ، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، سنة ١٤٠٩ هـ.

[٣٩] المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د/ محمد حسن حسن جبل، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة، ط١ – ٢٠١٠ م.

[٤٠] معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، د/ أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، ط١ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨ م.

[٤١] المعجم الكبير، الإمام سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، المحقق: حمدي بن عبد الحميد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ١.

[٤٢] معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد، الناشر عالم الكتب، ط ١– ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨ م.

[٤٣] معجم علوم التربية، عبد اللطيف الفارابي، الناشر: مطبعة النجاح، المغرب، الدار البيضاء طـ – عام ١٩٩٤م.

[٤٤] معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، الإمام جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ، المحقق: د/ محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١ – ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤م.

[٤٥] معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني أبو الحسين ت ٣٩٥ هـ، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

[٤٦] المناظرة، الإمام الأكبر أ. د/ أحمد الطيب، شيخ الجامع الأزهر الشريف، الموسوعة الإسلامية العامة، إشراف د/ محمود حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣ م.

[٤٧] المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت ٥٩٧هـ، المحقق: محمد عبد القادر عطا وآخرون، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، ط١-١٤٢هـ ١٩٩٢م.

[٤٨] النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، ت ٦٠٦ هـ، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

[٤٩] نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ت ١٢٥٠ هـ، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث بمصر، ط ١، سنة ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م.

فهرس الموضوعات

المقدمة ٣٢٦
أهمية الموضوع وأسباب اختياره: ٣٢٦
منهج البحث: ٣٢٧
تساؤلات الدراسة: ٣٢٧
حدود الدراسة: ٣٢٨
الدراسات السابقة: ٣٢٨
مشكلة البحث: ٣٢٩
خطة الدراسة: ٣٢٩
المبحث الأول : التعريف بمفردات عنوان البحث: ٣٣٢
المبحث الثاني : ترجمة ابن عباس ونص مناظرته ٣٣٨
أولاً: ترجمة عبد الله بن عباس: ٣٣٨
– ثناء الصحابة عليه: ٣٣٩
ثانيًا: نص مناظرته للحرورية: ٣٤٠
مدخل: ٣٤٦
المبحث الأول : التهيئة القلبية ٣٤٧
المطلب الأول : الحرص على هداية المخالف ٣٤٧
المطلب الثاني : حسن التوكل على الله تعالى ٣٥٠
المبحث الثاني : التهيئة الظاهرية ٣٥٣
المطلب الأول: حسن المظهر. ٣٥٣
المطلب الثاني : الذهاب لموطن الخصم ٣٥٨
مدخل: ٣٦٣
المبحث الأول : الاستفسار عن أوجه الخلاف ٣٦٤

المبحث الثاني : حصر نقاط الخلاف ٣٦٧
المبحث الثالث : الاكتفاء بمحكم القرآن وصحيح السنة ٣٦٩
المبحث الرابع : تقرير المدعو بظهور الصواب. ٣٧٣
المبحث الخامس : الإعراض عن المشوشين ٣٧٥
مدخل: ٣٨٠
المبحث الأول : حُسن الاستشهاد ٣٨١
المبحث الثاني : قوة الاستنباط وحسن العرض ٣٨٦
الخاتمة ٣٩٤
أولاً: أهم النتائج: ٣٩٤
ثانيًا: التوصيات: ٣٩٥
المراجع والمصادر ٣٩٦
فهرس الموضوعات..... ٤٠٣

تم بحمد الله تعالى